اقرأ

الدكتور يوسف سماره

جولة فى الإقليم الشمالى

دار المعارف بمصر

٢٤/٣/٨

م. سرمد حاتم شكر

جولة في الإقليم الشمالي

الدكتور يوسف سماره

جولة في الإقليم الشمالي

اقرأ ٢٠٦

دار المعارف بمصر

اقرأ ٢٠٦ – فبراير سنة ١٩٦٠

ملتزم الطبع والنشر : دار المعارف بمصر – ٥ شارع ماسبيرو – القاهرة

مقدمة

إذا نظرت إلى مصوّر جغرافى للعالم القديم لا تملك إلا أن يبدهك الموقع الفريد الذى تحتله سوريا فهى نقطة التقاء للقارات الثلاث آسيا وأوروبا وأفريقيا . وهى الممر المحتوم للاندفاعات البشرية التى حفل بها التاريخ منذ أن فتح عينيه للنور ومشى خطواته الأولى . وبذلك كانت هذه البلاد دائماً مسرحاً لأحداث هامة فشاهدت مدنيات تقوم وأخرى تنهار وعاشت كفاح الأمم وتزاحمها وتشبثها جميعاً فى أن تطبع أرض سوريا بطابعها الخاص .

وهكذا سار الزمن . فإذا ظل الفاتحين والمهاجرين يتقلص وتتلاشى فى ضمير الماضى أطماعهم وأيامهم ولكن الكثير من الآثار استعصى على الفناء وإذا به اليوم أوابد ناطقة عن كل عصر وعن كل أمة وحضارة مرت بهذه الأرض .

إن التاريخ ينام تحت كل حجر هنا فما إن تلمس يد الأثريين ركناً منها حتى تتململ الذكريات وتنتعش فتحدّث عن حروب وفنون وانتصارات وهزائم وتبعث كشريط سينمائى

أخبار الحضارات المندثرة وطرق معايش أهلها .

ولا شك أن التاريخ قد كتب سطراً أو سطوراً من قصته فى كل بقعة من بقاع الأرض . ولكن الذى يميز سوريا أن أغلب المدنيات ذات الشأن التى عاشت ، تفاعلت ذات يوم على تربتها ومشت معها ردحاً من الوقت . لهذا قيل فى بلادنا إن تاريخها مختصر لتاريخ العالم كله . ولهذا قيل فى آثارها إنها أكثر تنوعاً منها فى أى بلد آخر . حسبك أن تستعرض فى رحلة فاهمة هذا الإقليم من الجمهورية العربية المتحدة حتى تستدعى انتباهك مخلفات من الأموريين والحثيين والآراميين والحوريين والفينيقيين والمصريين والإغريق والرومان والفرس والسلوقيين والعرب وأمم أوروبا الصليبية والمماليك والأتراك وغيرهم .

بل لقد مرّ فى سورية الحديثة عدد من الأقوام يمثلون دول السياسة والقوة فى هذا العصر بالذات .

وهكذا تجد القصر العربى الأموى يجاور القناة الرومانية والمعبد الوثنى ، كما تجد الأنصاب الفينيقية تزحم القلاع الصليبية والكنائس البيزنطية . وقد ترى مسجداً من عصور الإسلام الأولى إلى جانب عمارة شاهقة حديثة أو سوق شعبية متهالكة فى القدم .

ولكن هذه البقعة من الأرض تقدم للعيون متعاً من نوع ثان فهناك الطبيعة المزدحمة بالمناظر الرائعة المتنوعة حتى لتحسبها لوحات فنية لرسامين مختلفين أذواقاً ومدارس فمن أحراج وحشية تكاد تكون عذراء إلى بساتين ينساب فيها الهدوء والبساطة الريفية الحلوة ومن جبال مغلفة بالأسرار إلى أنهر وينابيع تستريح عند ضفافها الأساطير .

وهناك الفلاة وخيام الرعاة البدو والغوطتان وقرى الاصطياف المتناثرة على القمم والربى والسهول وهناك ألف فتنة وألف ألف ركن جميل .

الطبيعة

الموقع والحدود :

يقع الإقليم السورى فى أقصى الغرب من آسيا تجاوره من الشمال تركيا ومن الشرق العراق ومن الجنوب الأردن وفلسطين المحتلة ويحده غرباً لبنان والبحر الأبيض المتوسط ، أما مساحته فتبلغ ١٨٥ ألف كيلومتر مربع أى أكبر من بلجيكا أو سويسرا أو هولاندة .

الجبال والسهول :

طبيعة الأرض السورية متباينة إلى حدّ ما ففيها جبال العلويين فى محافظة اللاذقية وفيها سلسلة جبال لبنان الشرقية وتضم جبل حرمون وعلوه ٢٨١٤ متراً وجبال عبد العزيز وسنجار والبشرى شرقاً وفى الجنوب جبل الدروز .

يقابلها من السهول فى الشمال سهلا حلب والجزيرة ثم إلى الجنوب بطاح حوران وتمتد إلى الشرق بادية واسعة توصف بأنها صحراء وهذا خطأ لأن القسم الأكبر منها قابل للزراعة .

المناخ :

تقع سورية فى منطقة البحر المتوسط المعتدلة الدافئة سماؤها صافية زرقاء فى أغلب الأحيان . وهواؤها صحى فى كل مكان وتختلف درجة الحرارة فيها بين ٤٥ إلى أقل من عشر درجات فى الشتاء . الأمطار خفيفة لا يتجاوز معدلها ٦٠ سنتيمتراً فى السنة .

الأشجار :

تزرع فيها أشجار المنطقة المحيطة بالبحر المتوسط من تين وزيتون وكرمة ومشمش وفستق وجوز ومن الأشجار الحراجية فيها السنديان والصنوبر والعرعر وأكثرها فى محافظة اللاذقية على الشاطئ السورى وينبت النخيل ذو البلح الشهى فى واحة تدمر .

الأنهار والبحيرات :

العاصى ويسيل من البقاع فى طول ٦٥٠ كيلومتراً وهو يجتاز بحيرة قطينة فى حمص ويدير نواعير حماه الشعرية ويروى سهولها ثم يمر بأنطاكية (وهى من مدن لواء إسكندرون الذى

اغتصبه الأتراك عام ١٩٣٩) ليصب فى البحر المتوسط .

النهر الكبير : جنوب اللاذقية .

بردى : (٧٠ كيلومتراً) وينقسم إلى ٧ نهيرات تروى غوطة دمشق .

اليرموك : فى الجنوب وهو أحد روافد الأردن .

الفرات : وينبع من تركيا مجتازاً ٧٠٠ كيلومترا من الأراضى السورية . ويروى مع الخابور (أحد روافده) الأراضى فى الجزيرة الزراعية الغنية .

دجلة : يسيل إلى الشمال الشرقى من سورية ويؤلف حداً فاصلا مع العراق .

أما بحيرات الإقليم الشمالى فصغيرة أهمها قطينة فى حمص وبحيرتا الجبولة وجيرود ويستخرج منهما الملح وبحيرة خاتونة على الحدود مع العراق . وهناك بحيرتا عتيبة والهيجانة فى الغوطة .

الشواطئ :

وتؤلف سهلا ضيقاً يمتد من حدود لبنان إلى حدود تركيا بين البحر وجبال العلويين ومناخها جميل ، وتقع جزيرة أرواد

مقابل طرطوس ويسكنها قوم من الصيادين . وإلى الشمال من طرطوس تقع بانياس وهى مرفأ بترولى تتزايد أهميته منذ عشر سنوات وتأتى بعدها اللاذقية ذات المرفأ الحديث الذى أصبح يتسع لسفن ذات حمولة كبيرة .

السكان :

يبلغ عدد القاطنين فى الإقليم السورى ٤ ملايين ونصف المليون يسكن الريف منهم حوالى مليونين . وفيه بدو ينتقلون فى طلب المرعى ولكن عددهم آخذ بالنقصان تبعاً لسياسة التوطين التى تنتهجها الدولة .

المدن :

وهذه أهمها

دمشق — حلب — حمص — — حماه — اللاذقية — دير الزور — السويداء — درعا — الحسكة — القامشلى — الرقة — أدلب .

جولة تاريخية

قدّر لمصير سورية أن يكون مرتبطاً منذ أقدم الأزمنة بموقعها الجغرافى ، فهى تؤلف الساعد الأكبر من الهلال الخصيب الذى يضم شمال الصحراء العربية ممتداً على شواطئ البحر الأبيض المتوسط الشرقية فكانت بذلك ملتقى طرق الشرق الأدنى والمعبر المحتوم للدول المجاورة إذا رغبت فى حرب أو هجرة أو تجارة . أضف إلى ذلك غنى أرضها وانعدام الحدود الطبيعية تقريباً من حولها .

وهكذا جرت على أرضها أهم معارك التاريخ القديم الفاصلة وحفلت أيامها بالهجرات المتوالية وكان الأموريون الساميون سكان الجزيرة العربية أول من جاءها وذلك عن طريق شواطئ الخليج الفارسى (بين ٢٨٠٠ — ٢٥٠٠ ق . م) وقد عرفت دمشق قديماً باسمهم (أمورى) ولعلهم هم الذين بنوها .

وكان منهم حمورابى صاحب الشريعة المشهورة به . وكانت مدينة مارى وحضارتها على ضفاف الفرات السورى أمورية كذلك .

وتلتهم موجة الهجرة الكنعانية الفينيقية من بلاد العرب أيضاً فقصد الكنعانيون فلسطين وسكنوها . والتقت فى بلادهم حضارتا بابل ومصر المجاورتين .

أما الفينيقيون فآثروا الشاطئ وقدر لهم أن يصبحوا أهل بحار مغامرين فاستعمروا مرسيليا وقرطاجة ونقاطاً كثيرة فى إسبانيا وفى جزر البحر المتوسط .

وقامت لهم مدنية زاهرة فى صور وصيدا وبيبلوس (جبيل) وأرواد وأوغاريت وكان لهم فضل اكتشاف الزجاج والأصبغة وعلى الأخص ما أسدوه للإنسانية باختراع الالفباء أساس كل حضارة تعيش اليوم .

الآراميون :

ثم هاجر إلى سورية قوم ساميون جدد من الجزيرة العربية وقد سلكوا فى قدومهم إليها وادى الفرات واستوطنوا شمال البلاد وداخلها وأنشأوا لهم مدناً هى ممالك تكاد تكون مستقلة بعضها عن بعض منها مملكة شامال فى الشمال ومملكة حماه وكانت دمشق من أهم مدنهم وسرعان ما قبض الآراميون على ناصية التجارة فى تلك المناطق وحملوا الأحرف الهجائية التى استنبطها الفينيقيون

إلى مختلف البلاد المجاورة كما حملوا إليها لغتهم التى ظلت أكثر من خمسة عشر قرناً لغة التجارة والعلوم والمعتقد أن السيد المسيح كان يخاطب الجموع باللغة الآرامية ولا تزال إحدى لهجات هذه اللغة مستعملة حتى أيامنا هذه فى ثلاث قرى سورية بجبل القلمون هى معلولا وبخعا وجبعدين .

الحوريون والحثيون :

واجهت سورية فى الألف الثانية قبل الميلاد اندفاعين غير ساميين من الشمال فقد وصل الحوريون القادمون من بطاح أرمينيا حتى حمص ثم تبعهم الحثيون وهم من آسيا الصغرى فردوهم على أعقابهم وقطنوا فى شمال سورية (١٥٠٠ ق.م) وخاصة فى حماه (حامات) وجرابلس (كركميش) وحلب وقادش حتى غمرت الأولين والآخرين موجة « آشور » العارمة .

الآشوريون :

قوم ساميون لم يقدموا للبلاد أى خير ولم يتركوا لها سوى اسمها الذى عرفت به فيما بعد « سوريا » .

وكان البابليون يحكمون قبلهم هذه المنطقة ويأخذون الجزية

والضرائب خشباً تاركين لأهلها استغلالها الداخلى وتلاشى نفوذهم عليها بتغلب مملكة آشور على بابل كما تغلبت على أراضى الهلال الخصيب بكاملها ومنها سوريا واستولت على مصر .

ثم لم تلبث أن زالت إمبراطورية آشور فى سوريا بعد أربعة قرون من حكم ملىء بالجور والفظائع .

وفى تلك الأثناء هجر شعب « آرى » (الفلسطينى) جزيرة كريت ولجأ إلى الشاطئ الممتد بين العريش ويافا فتنازع مع أهله الكنعانيين على أرضهم وكذلك هاجر إلى فلسطين العبرانيون فدخلوا عنصراً ثالثاً فى النزاع .

المصريون :

عند ما نشأت الدولة المصرية وتقوتْ فكّر المصريون فى توسيع رقعة أرضهم وكان أول ما انضم إليهم الشاطئ الفينيقى وقد سبق ذلك اتصالات تجارية وعلاقات ترجع إلى ما قبل عهد السلالات . وبقيت فينيقيا تابعة للنفوذ المصرى حتى عام ١٢٠٠ ق . م على أن هذا النفوذ ارتفع وهبط فى أدوار عديدة منها محاولة إمبراطورية آكاد فى ما بين النهرين فتح ممر لها إلى البحر (٢٤٨٣ — ٢٤٢٨ ق.م) وتسلطهم على أقسام من سوريا .

وقد بقى المصريون مستولين على الشاطئ السورى حتى غزوة الهكسوس .

الكلدان :

كان سقوط نينوى (٦١٢ ق . م) مؤذنًا بزوال مملكة آشور التى أضعفت نفسها بالحروب والفتوحات فقام الكلدانيون وهم سكان بابل يرثون آشور فى العراق ويخلفونها فى إمبراطوريتها فانقض نبوخذنصر على سوريا وهدم مملكة اليهود ونفى أهلها إلى بابل وهو الذى كسر جيوش تحوتمس الثالث فى كركميش (٦٠٥ ق . م) ثم فتح صور بعد حصار طويل وبذلك هيمن على البلاد .

الفرس :

تغلب الفرس على البابليين (٥٣٨ ق . م) وفضلوا مسالمة السوريين واحترام استقلالهم على النزاع معهم وبخاصة أنهم أدركوا أهمية الأسطول الفينيقى فى حروبهم ، فاستفادت سوريا من حكم الفرس (٥٩٩ — ٣٣٣ ق . م) وأمر داريوس أن يعاد حفر ترعة السويس حسب تخطيط الفينيقيين (بفتح ترعة تصل

بين شمالى البحر الأحمر وبين البحر الأبيض المتوسط عن طريق النيل) .

الفتح المكدونى — السلوقيون :

شتت الإسكندر المكدونى (٣٣٣ ق . م) جيش داريوس (دارا) وفتح صور ودمشق وبعد عشر سنين توفى فخلف إمبراطورية عظيمة يتنازعها قواده فكان القسم الأسيوى ومنه سوريا نصيب القائد سلوقوس نيكاتور مؤسس المملكة السورية (٣٠١ ق . م) وبنى السلوقيون مدناً كثيرة منها إسكندرونة وأنطاكية واللاذقية .

الرومان :

استطاع القائد الرومانى بومبيوس أن يقضى على دولة السلوقيين فاحتل الرومان سورية (٦٤ ق . م) كما احتلوا مصر بعد ذلك وجعلوا سوريا ولاية رومانية وبقيت كذلك أربعة قرون قبل أن تغدو جزءاً من الإمبراطورية البيزنطية .

وقد اعتلى العرش فى روما أباطرة من أصل سورى مثل سبتيموس سيفيروس وزوجته جوليا دومنا الحمصية وكراكلا

وهليلو كابال والإسكندر الحمصيين وكذلك فيليب العربى من صلخد .

وقد ازدهرت العلوم ونمى الاقتصاد فى العهد الرومانى بسوريا بفضل «السلم الرومانى» وقامت مدن ومنشآت لا تزال آثارها حتى اليوم تنطق بعظمة البناء والبنائين السوريين مثل بعلبك وتدمر وبصرى وجرش ودمشق وأنطاكية وقد كان أثر سوريا فى الإمبراطورية الرومانية البيزنطية كبيراً وبخاصة بعد ظهور المسيحية التى ولدت فى فلسطين وترعرعت فى أنطاكية ثم انتشر إشعاعها فى العالم . على أن الطابع العربى ظل ملازماً البلاد وأهلها حتى فى العصر الرومانى ، تشهد بذلك بترا الأنباط وتدمر أذينة وزنوبيا وبصرى الغسانيين .

الروم — البيزنطيون :

انقسمت الإمبراطورية الرومانية فى القرن الرابع الميلادى إلى قسمين : غربى وعاصمته روما وشرقى وعاصمته بيزنطية وكان أباطرة بيزنطية يونانيين لا رومانيين فدعاهم العرب الروم .

ولم يحسن الروم حكم سورية فقد جزأوا البلاد وأبعدوا السوريين عن الجيش .

سوريا العربية

كانت هذه المنطقة من الشرق الأوسط على اتصال وثيق دائم بالجزيرة العربية التى كانت مصدراً هاماً للموجات البشرية التى كانت تهاجر إلى سوريا . فالأموريون والكنعانيون والآراميون والفينيقيون — جميع هؤلاء ساميون عرب ، والأنباط والتدمريون والغساسنة والطولونيون عرب هم أيضاً.

وعند ما جاء العرب المسلمون إلى سوريا فى القرن السابع استقبلهم سكانها من العرب المسيحيين خير استقبال وتعاونوا معهم على الأجنبى المحتل . كانت سوريا إذ ذاك تحت سيطرة الإمبراطور هرقل البيزنطى ، فاحتل العرب فلسطين بعد معركة « أجنادين » ثم حاصروا دمشق سنة (٦٣٦ ب . م) وتغلبوا على البيزنطيين فى موقعة اليرموك الفاصلة بقيادة خالد بن الوليد وأبى عبيدة الجراح وساعدهم فى ذلك انضمام القوات النصرانية العربية ، فاستسلمت إثر ذلك دمشق وحلب وأنطاكية وأصبحت سورية ولاية عربية .

الأمويون :

جعل معاوية بن أبى سفيان حاكم بلاد الشام مدينة دمشق مقرًّا لحكمه ثم عاصمة للعالم العربى حينما أصبح خليفة بعد موت علىّ، وهكذا أصبحت دمشق مركزاً لإمبراطورية واسعة تحت ظل الحكم الأموى .

ولما ضعف الأمويون وقوى ساعد خصومهم من الهاشميين سار أبو مسلم الخراسانى من أقصى الشرق على رأس جيش قوى متجهاً إلى الغرب ولما بلغ العراق التقى بجيش الأمويين على نهر الزاب الأكبر فهزمهم وتحولت سوريا إلى مقاطعة عباسية ونزلت بذلك عن مركزها العظيم الذى احتفظت به قرابة قرن (٦٦٠ — ٧٥٠ م) .

العباسيون :

اتخذ العباسيون بغداد عاصمة لملكهم الجديد وعاملوا سورية كبلد مغلوب على أمره فزادوا الضرائب وتشددوا فى الجباية . ولكن دولتهم أخذت فى الانحطاط بعد أن استخدموا الأتراك فى جيشهم وبعد أن أصبح القواد والأمراء من الأتراك ،

وتغلبوا على العنصر العربى واستبدوا بأمور الدولة . فنشأت عدة إمارات وممالك صغيرة مستقلة هنا وهناك أشهرها الطولونيون فى مصر (٨٧٨ – ٩٠٥) والحمدانيون فى حلب (٩٤٤ – ١٠٠٣) وحكم الفاطميون المصريون جنوب سوريا على حين كان شمالها من نصيب الأمراء السلاجقة الأتراك الذين كانوا فى نزاع مستمر بعضهم مع بعض .

الصليبيون :

دخلت جيوش الحملة الصليبية الأولى سوريا عام ١٠٩٧ فاستولت على الرها وأنطاكية وسارت جنوباً وعلى الشاطئ مستهدفة الحصول على الأراضى المقدسة فى فلسطين والاستيلاء عليها ولكنهم فشلوا فى محاولة التغلب على دمشق وفتحوا القدس بعد حصار دام أكثر من شهر وأطلقوا على البلدان التى حكموها فى سورية اسم « المملكة اللاتينية » .

ثم جمع المسلمون شملهم بقيادة آل زنكى فأخرجوا الصليبيين من الرها وهزم صلاح الدين الأيوبى الصليبيين فى مصر وجاء سوريا فالتقاهم فى حطين ومنها سار إلى القدس ففتحها ولم يبق بيد الإفرنج حين موته (١١٩٣ م) إلا أنطاكية وصور وطرابلس .

المماليك :

وهم أسرتان البحرية الأتراك والبرجية الجركس .

كان الظاهر بيبرس البندقدارى أول من تبوأ عرش مصر من المماليك البحرية ، وقد استطاع أن ينزع من الصليبيين قيسارية ثم صفد وفتح صافيتا وقلعتى الحصن والشقيف . وبعد موته (١٢٧٧ م) استولى قلاوون على جميع البلدان التى كانت باقية فى يد الصليبيين ما عدا عكا التى سقطت أخيراً عام ١٢٩١ م .

غارات المغول :

ظهر فى أواسط القرن الثالث عشر أول الغزاة المغول قادمين من الشرق من صحراء غوبى الصينية يقودهم السفاح جنكيزخان فوصلوا إلى سوريا فى طريقهم إلى أوروبا الشرقية والوسطى — وكانوا يزرعون الخراب والدمار حيث وطئت خيولهم وأقدامهم — ولكنهم ذاقوا مرارة الهزيمة فى معركة جالوت قرب بيسان سنة ١٢٥٩ على يد السلطان سيف الدين قطز من المماليك البحرية كما هزموا فى حمص وعلى الفرات . فانسحبوا إلى العراق .

أما المماليك البرجية فقد شغلتهم منازعاتهم عن مقاومة

تيمورلنك المغولى الذى هاجم سوريا سنة ١٤٠٣ — وقد ارتكب تيمورلنك فى اجتياحه البلاد مختلف الفظائع فسبى ونهب وقتل وأسر الصناع الدمشقيين المهرة والفنانين وحملهم إلى سمرقند عاصمته ثم أحرق دمشق مدارسها وأسواقها ومساجدها .

العهد العثمانى :

جاء العثمانيون وهم أتراك كالسلجوقيين من أواسط آسيا فى أواخر الحروب الصليبية وقد استطاعوا القضاء على الإمبراطورية البيزنطية المتضعضعة .

وفى عام ١٥١٦ تمكن السلطان سليم الأول من التغلب على قانصوه الغورى وقتله فى مرج دابق فأصبحت سوريا مقاطعة عثمانية وبذلك بدأ فى البلاد عهد مظلم من الإرهاق والجهل لم ينقض قبل أربعة قرون كاملة وبعد أن أفقر البلاد وأهلها .

وكانت البلاد وقتئذ مقسمة (فى زمن العثمانيين) إلى ولايات كان يحكمها فى الغالب موظفون أتراك لا يفهمون نفسية الشعب وهمهم الوحيد المغنم الشخصى باستنزاف مال الولايات فى أقصر وقت ممكن .

وفى عام ١٨٣١ استخلص إبراهيم باشا وهو ابن محمد على

الكبير والى مصر –وقتئذ – سوريا من يد الأتراك بعد أن أوقع بهم هزيمة منكرة غير أن تدخل الدول الأوربية أرغمه على التخلى عنها وفى شتاء عام ١٨٤٠ – ١٨٤١ وبذهاب المصريين رجعت البلاد إلى حكم العثمانيين الجاهل فقامت بتحريضهم فتنة طائفية عمياء فى لبنان ودمشق سنة ١٨٦٠م أوجدت الامتيازات الأجنبية التى منحوها لبعض الأوربيين

النهضة العربية :

ولكن النهضة العربية كانت تفتح الدعوة للفكرة العربية وتأسست الجمعيات والنوا[illegible] العرب يكتبون فى الصحف والمجلات ويؤلفون الكتب مس[illegible] الهمم ومؤلبين الأمة العربية على حكامها الأتراك حتى قامت الث[illegible] العربية الكبرى عام ١٩١٦ وسار الأمير فيصل بن الحسين بجيش انضم إليه كثير من السعوديين والعراقيين واشترك مع قوات الحلفاء لإخراج الأتراك من سوريا ، ودخل الأمير فيصل دمشق على رأس جيشه العربى فى أول تشرين الأول ١٩١٨ وفى نهاية هذا الشهر تحررت سوريا العربية كلها من النير التركى الثقيل الذى كان يجثم فوقها ، وكان العرب يعتمدون على وعود الإنجليز

وحلفائهم بتحقيق أمانيهم إذا ثاروا على الدولة العثمانية .

عهود كاذبة :

ولكن الحلفاء كانوا قد بيتوا وراء ظهور العرب مؤامرات استعمارية ؛ فقد قسمت معاهدة سيكس بيكو (الإفرنسية — الإنجليزية) البلاد العربية إلى مناطق نفوذ بين الدولتين ، كما تعهد اللورد بلفور باسم بريطانيا فى وعده المشئوم عام ١٩١٧ لليهود بإنشاء وطن قومى لهم فى فلسطين بغية إنشاء دولة صهيونية فى قلب البلاد العربية .

المملكة العربية فى سوريا :

اتخذ المؤتمر السورى فى جلسته المنعقدة فى ٧ آذار سنة ١٩٢٠ قراراً تاريخياً باستقلال سوريا بحدودها الطبيعية وتنصيب الملك فيصل ملكاً عليها ، وجرت حفلة التتويج فى الثامن من آذار سنة ١٩٢٠ .

الانتداب :

غير أن هذه الملكية لم تعمّر كثيراً فقد بعث الإفرنسيون

بإنذار إلى الحكومة السورية أتبعوه بجيش مزود بكل معدات الحرب ووسائلها فالتقى بفلول الجيش السورى فى ميسلون وكان تحت قيادة يوسف العظمة وزير الحربية السورى ، وتمكن الجيش الغازى من دخول دمشق على جثة البطل الشهيد يوسف العظمة . وهكذا أخضع الإفرنسيون سوريا الشمالية ولبنان إلى نظام استعماري مموه دعوه الانتداب كما أخضع الإنجليز لانتدابهم سوريا الجنوبية (فلسطين وشرق الأردن) .

واحتملت سوريا الانتداب الإفرنسى ٢٥ عاماً ولكن الانتفاضات والثورات فى طلب الحرية لم تهدأ قط وأكد السوريون تمسكهم باستقلالهم وسيادتهم طوال عهد الانتداب .

وكان أعمق تلك الوثبات أثراً ثورة ١٩٢٥ التى بدأت فى جبل الدروز وانتقلت إثر ذلك إلى دمشق وحماه ثم إلى القلمون وحمص وإلى غوطة دمشق ، وقد كبدت الإفرنسيين هزائم مادية ومعنوية كبيرة . وفى عام ١٩٣٦ أضربت دمشق خمسين يوماً متوالية وأتبعتها المدن السورية وحدثت اضطرابات قوية فى شتى الأنحاء السورية مما اضطر الإفرنسيين إلى الاعتراف باستقلال البلاد ووحدتها للمرة الأولى وتألفت أول وزارة وطنية فى كانون الأول (ديسمبر) سنة ١٩٣٦ .

على أن الإفرنسيين وقد شعروا بقرب رحيلهم عن سوريا أبوا إلا أن يكيدوا للبلد وأهله فسمحوا للأتراك سنة ١٩٤٨ باحتلال سنجق إسكندرونة تلك القطعة الثمينة من الوطن العربي .

الحرب العالمية الثانية :

وعندما قامت الحرب العالمية الثانية عادت فرنسا إلى سياستها القديمة سياسة التنكيل والتقييد بحجة ضرورات الحرب ؛ فأعلنت عزوفها عن سياسة التعاقد مع سوريا وحلت المجلس النيابي وأرسلت أحرار البلاد إلى السجون والمعتقلات .

ثم اجتاح الجيش الألماني فرنسا عام ١٩٤٠ ودخلت وحدات من القوات الإنجليزية الأراضي السورية في حزيران (يونية) سنة ١٩٤١ .

ودعيت البلاد لانتخابات نيابية وعاد المجلس النيابي للانعقاد وبذل الإفرنسيون الوعود والتعهدات وكانوا ينكلون عنها دائماً .

وفي شباط (فبراير) سنة ١٩٤٥ أعلنت سوريا الحرب على دول المحور فقبلت في مؤتمر السلام الذي عقد في سان فرنسيسكو .

وأعطيت الأوامر إلى القوة الإفرنسية بمهاجمة مجلس النواب

وبضرب مدينة دمشق فى آيار (مايو) سنة ١٩٤٥ حينما أدركت فرنسا عقم محاولاتها للبقاء فى سوريا ؛ فثار الرأى العام العالمى ضد الطغيان الإفرنسى وأقرَّت هيئة الأمم المتحدة ضرورة جلاء القوات الإفرنسية عن سوريا ولبنان .

وتم الجلاء فى ١٧ نيسان سنة ١٩٤٦ فى عهد رئيس الجمهورية السيد شكرى القوتلى وبدأت سوريا حياة ذات سيادة بعد ربع قرن من الاحتلال الإفرنسى الغاشم .

وفى ذلك اليوم التاريخى أعلن السيد القوتلى أنه لن يرتفع بعد اليوم فوق العلم السورى غير علم الوحدة العربية .

سوريا المستقلة :

أصبحت سوريا بعد استقلالها التام عضواً فى جامعة الدول العربية وأخذت تساند استقلال الدول العربية التى لم تتمتع بعد بنعمة الحرية كما أصبحت عضواً فى هيئة الأمم المتحدة لها كلمتها فى مجالات السياسة الدولية .

الانقلابات :

حدثت خلال هذه الفترة الاستقلالية عدة انقلابات بقيادة

مغامرين من الجيش أولها قام به الزعيم حسنى الزعيم فى ٣١ أيار (مارس) سنة ١٩٤٩ — ووقع الانقلاب الثانى فى ٢ كانون الثانى سنة ١٩٥١ وتولى رئيس الأركان العامة مهام رئيس الدولة، ثم انتقلت السلطتان التشريعية والتنفيذية إلى الزعيم فوزى ساو فى الثالث من الشهر نفسه .

وفى ١٠ تموز (يوليه) سنة ١٩٥٣ أصبح الزعيم أديب الشيشكلى رئيساً للجمهورية وفى ١٥ آذار (مارس) سنة ١٩٥٤ اجتمع مجلس النواب المعطل وعادت بذلك الحياة الدستورية النيابية إلى مجراها الطبيعى .

الوحدة مع مصر :

كانت سوريا سباقة دائماً فى الدعوة إلى الوحدة العربية وعند ما وضع دستور ١٩٥٠ كان بين مواده الأولى أن سوريا جزء لا يتجزأ من الوطن العربى الكبير وأن الشعب السورى جزء من الأمة العربية .

وفى اتفاق ٢٠ تشرين الأول (أكتوبر) سنة ١٩٥٥ وحدت القيادة العسكرية بين مصر وسوريا .

وجاء فى الميثاق القومى الذى وافقت عليه الأحزاب السورية ما يلى :

« توسيع الاتفاق الثنائى مع مصر بحيث يشمل مختلف النواحى التى يمكن توحيدها أو تنسيقها بين الطرفين فى الشئون السياسية والاقتصادية والثقافية بحيث يصبح هذا الاتفاق نواة للوحدة العربية الشاملة » .

ثم عقد فى عام ١٩٥٧ اتفاقان هامان متممان للاتفاق العسكرى المذكور : الأول اتفاق الوحدة الثقافية فى ٢٥ آذار (مارس) سنة ١٩٥٧ والثانى اتفاق الوحدة الاقتصادية فى ٣ أيلول (سبتمبر) سنة ١٩٥٧ .

وفى اليوم الأول من شباط (فبراير) ١٩٥٨ أعلن فى القاهرة بحضور ممثلين عن الجمهوريتين السورية والمصرية توحيد البلدين فى دولة واحدة اسمها « الجمهورية العربية المتحدة » .

ودعى بعد ذلك الناخبون فى كل من سوريا ومصر للاستفتاء على الوحدة وانتخاب رئيس للجمهورية العربية المتحدة وذلك يوم ٢١ شباط (فبراير) سنة ١٩٥٨ فكان إجماع تام فى البلدين بالموافقة على الوحدة وبانتخاب سيادة جمال عبد الناصر رئيساً للجمهورية .

دمشق

دمشق هى كبرى المدن السورية والعاصمة الثانيةللجمهورية العربية المتحدة، يبلغ عدد سكانها قرابة نصف مليون وتقع فى واحة الغوطة الفيحاء على سفح جبل قاسيون الذى هو امتداد لسلسلة جبال لبنان الشرقية . ويبلغ ارتفاع المدينة عن سطح البحر ٦٩٠ متراً وهذا مما يلطف من مناخها ويحبب الإقامة فيها . يمر فيها نهر بردى ويروى واديها الدائم الاخضرار .

ويتشعب النهر خارج المدينة وداخلها إلى قنوات فينفذ إلى البيوت والبساتين والمقاهى فى أحواض وسواق هى جنة للنظر وتمتماتها متعة للأسماع .

ودمشق محوطة بالبساتين والحدائق الجميلة فدعيت منذ القديم بالفيحاء وبذات العمد وجنة الدنيا .

وقد عاصرت دمشق شتى أحداث التاريخ المعروف حتى قيل فيها إنها أقدم مدينة فى العالم ، ولكن أحداً لا يستطيع أن يتحدث عن نشأتها الأولى على وجه التدقيق ، وكيف ما كان الأمر فمما لا شك فيه أنها من أقدم التجمعات العمرانية التى

لا تزال قائمة حتى اليوم .

وقد ورد اسمها فى عدة مواضع من سفر التكوين على ألواح تحوتمس الثالث فى تل العمارنة بصعيد مصر . وكانت عاصمة للآراميين خلال النصف الثانى من الألف الثانية قبل الميلاد .

ثم جعل منها الملك ريزون عاصمة لدولة قوية مكتسحة تغلبت مراراً على الإسرائيليين .

وظلت دمشق بعد غزو الإسكندر تابعة للبطالسة حتى سقطت فى يد أنطيوخوس الأول (٢٨٠ — ٢٦٢ ق . م) وأخذت بعد ذلك تنتقل من حاكم لآخر حتى سقطت فى يد الأريطس ملك العرب الأنباط الذى ظل محتفظاً بها حتى أجلاه عنها بومبيوس عام ٦٦ ق . م .

وقد نمت دمشق وازدادت جمالا وفتنة فى زمن الرومان، وأصبحت على رأس عصبة الديكابوليس المؤلفة من عشر مدن فى سوريا الشرقية وفلسطين . وبنى فيها هيرودس مسرحاً وملعباً، واتسعت أراضى دمشق ونفوذها حتى حدود صيدا ، وعاد الأنباط العرب ثانية إلى دمشق ثم استرجعها منهم نيرون الإمبراطور ، وعند ما ثار اليهود بين أعوام ٦٧ و ٧٠ ميلادية قتل منهم فى دمشق عشرة آلاف شخص .

وأصبحت دمشق مستعمرة رومانية فى ظل سبتيموس سيفيروس ، وأنشأ فيهـا ديوكليتيان مصانع للأسلحة ومستودعات . وفى عام ٧٣٢ ق . م تمكن تيجلات – بيلزر من هدم ضواحى المدينة وقطع أشجارها وتخريب بساتينها ثم رحل بعد ذلك سكانها ثم احتلها الفرس (٦١٠ – ٦١٤) فاستعادت دمشق صحتها وتملكها بعدهم الروم وأخيراً العرب عام ٦٣٥ – ٦٣٦ م دون مقاومة تذكر . وجعل منها الخليفة معاوية عاصمة ملكه وبقيت دمشق طيلة العصر الأموى عاصمة للعالم العربى بكامله ، من إسبانيا إلى تركستان . وبذلك عاشت عصرها الذهبى حتى انتقلت الخلافة إلى العباسيين فنقلوا عاصمتهم إلى بغداد وأهملت دمشق .

وتداولت الأيدى دمشق بعد ذلك فسيطر عليها الطولونيون (حتى عام ٨٧٨ م) ثم الفاطميون حتى عام ١٠٧٥ والسلجوقيون. وقد حاصرت القوات الصليبية دمشق عدة مرات إلا أنها استطاعت دائماً الوقوف فى وجهها وصدها (١١٢٦ – ١١٤٨) وفى عام ١١٥٤ سقطت المدينة فى قبضة نور الدين الذى حصنها وقواها فاستعادت الكثير من عزها ومجدها فى ظلّه وظلّ خلفائه من بعده حتى أصبحت فى زمن صلاح الدين قبلة أنظار العالم العربى ومحط أمله .

غير أن غزو المغول عام ١٢٦٠ واحتلال هولاكو لدمشق رجع بها القهقرى وهيأ لها عهداً طويلا من الانحطاط .

وجاء عهد المماليك قطز وبيبرس فأعادوا تحصين دمشق ، وفى عام ١٤٠٠ أجلى تيمورلنك سكان المدينة إلى سمرقند واحتلها العثمانيون سنة ١٥١٦ م وأقاموا عليها والياً وظلوا فيها إلى أن استولى عليها محمد على خديوى مصر من عام ١٨٣٠ — ١٨٤٠ .

وخضعت المدينة لشريعة الغاب عام ١٨٦٠ فذبح منها حوالى ستة آلاف شخص .

وتذكر دمشق من الولاة العثمانيين المصلحين مدحت باشا الذى شق الشوارع وأجرى عدة إصلاحات رئيسية فى المدينة .

وفى عام ١٩١٨ استعادها العرب بقيادة فيصل وأقام منها حكومة محلية بمساعدة لورنس وجعلها عاصمة لملكه ، ثم اضطر لترك دمشق بعد معركة ميسلون ودخول القوات الفرنسية الغاصبة ، وسلط الفرنسيون الحريق والخراب على أحياء كثيرة فى العاصمة السورية أثناء الثورة اللاهبة التى شنها عليهم الوطنيون فى كافة أنحاء البلاد .

ولم تستكن البـــلاد لدولة الانتداب قط وظلت تناوئ

الحكم الفرنسى حتى تم الجلاء عام ١٩٤٦ بعد أن ودع المستعمرون دمشق بالقنابل والنيران .

وبذلك بدأ العهد الاستقلالى الذى تخلّلته بعض الانقلابات العسكرية حتى قامت الوحدة العربية مع مصر عام ١٩٥٨ .

وقد تميزت دمشق بثروتها الأثرية الضخمة وبمقاصفها ومناظرها الطبيعية الجديرة بالزيارة .

ويأتى المسجد الأموى فى المقام الأول بين الأمكنة الأثرية فيها ، وقد بنى فى موضع كنيسة مسيحية عرفت باسم (القديس يوحنا المعمدان) كانت أنشئت سنة ٣٧٩ – ٣٩٦ م على أنقاض معبد وثنى للإله جوبيتر الدمشقى . وكان هذا المعبد قد بنى بدوره فى موضع معبد للإله حدد الآرامى وقد اكتشف منذ سنوات فى الجدار الشمالى من المسجد الأموى حجر أسود نقش عليه أبو الهول مجنحاً متوجاً كان يزين معبد حدد الآرامى .

وقد شيد المسجد الأموى الخليفة الوليد بن عبد الملك (٧٠٥) وكلّف ألوف الفنيين وعمال الفسيفساء السوريين كما استقدم أمهر الفنانين وأشهرهم من أثينا وروما وبيزنطية للإسهام فى بناء المسجد وزخرفته حتى أصبح قطعة فنية ثمينة .

على أن النيران التهمت الجامع الأموى مرة أولى عام ١٠٦٨

ثم فى ١١٧٤ و ١٢٤٧ و ١٤٠١ و ١٤٧٩ وأخيراً عام ١٨٩٣ فأعيد بناؤه فى كل مرة وزيد عليه حتى أصبح آية فى فن البناء والزخرفة كما هو عليه اليوم .

وللجامع ثلاثة أبواب وهو يتألف من باحة فسيحة تحيط بثلاث جهات منها أروقة وعمد وسطوح أقواسها مزينة بفسيفساء دقيقة الصنع تمثل قصوراً وحدائق ومناظر طبيعية ، كما يبدو فيها نهر بردى ومويجاته المصطفقة وبعض قرى الغوطة وربما صور مكة ودمشق كما كانتا فى العصر الأموى .

وفى صحن الجامع قبة الخزنة المصنوعة من الرصاص وهى مستندة على ثمانية أعمدة وقد بُنى جذعها على نسق بيزنطى وكانت تحفظ فيها أموال الدولة .

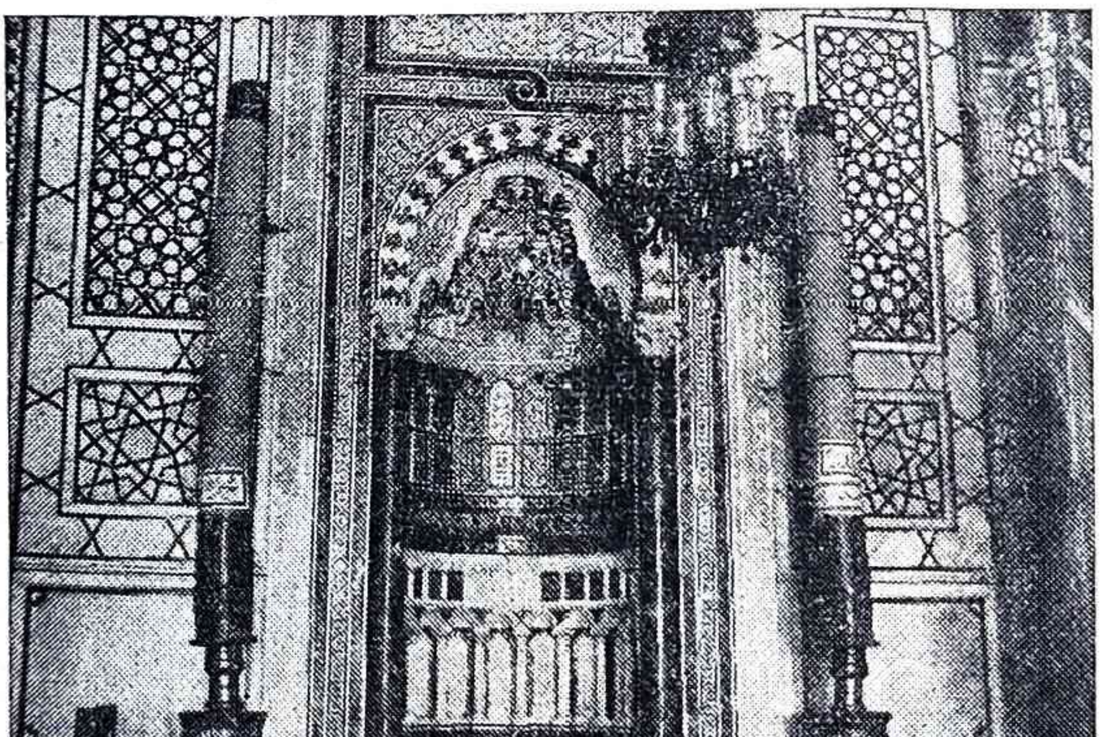
أما حرم المسجد فيبلغ ١٣٦ متراً طولا فى عرض ٣٨ وفيه ضريح النبى يحيى (القديس يوحنا المعمدان) وبناؤه رخامى مربع تعلوه قبة مضلعة .

وفى المصلى أربعة محاريب أجملها وأكبرها مرخم مرصع بصفوف من الصدف والمرمر الملون .

وللجامع مآذن ثلاث أقدمها مئذنة العروس التى بناها الوليد (القرن الحادى عشر) ومئذنة غربية (القرن الخامس عشر)

ومئذنة عيسى (القرن الحادى عشر) وسميت كذلك للاعتقاد المتداول أن السيد يسوع المسيح سوف يهبط من السماء يوم الدينونة على هذه المئذنة ليصرع المسيح الدجال .

ويطالع من يرتقى هذه المآذن منظر رائع عام لدمشق وغوطتها وضواحيها .



نقوش المحراب فى المسجد الأموى

والمسجد وقبته ومآذنه تكسب المدينة طابعاً خاصاً وقد قال فيه مؤرخ عربى : « إنه ليس أعظم آبدة فى أراضى الإسلام

فحسب بل هو من أعظم ابتكارات فن البناء العالمى فى كل الأزمان وفى كل البلاد » .

ضريح السلطان صلاح الدين :

وهو إلى جانب المسجد الأموى فى تربة مربعة بنيت فى أواخر القرن الثانى عشر تعلوها قبة ذات أضلاع وقد كسيت جدران التربة ببدائع فن القيشانى (صنع فى القرن السابع عشر).

أما الضريح فمرمرى أهداه غليوم الثانى عاهل ألمانيا حينما زار دمشق سنة ١٨٩٨ وإلى جانبه الضريح الأصلى وهو من الخشب المنقوش بأشكال هندسية وزخارف نباتية وقد زنّرت أعلى الضريح آية مكتوبة بالخط الكوفى المشجر (القرن الثانى عشر).

ولهذا الضريح حرمة خاصة لدى الدمشقيين فقد طار صيت مدينتهم فى عهد السلطان صلاح الدين الأيوبى الذى جعل منها عاصمة مملكته الواسعة وأصبحت فى عهده منارة للفنون والعلوم .

المدرسة العادلية :

بدئ بتشييدها عام ١٢١٥ وتضم قبر الملك العادل أخى صلاح الدين الذى أعاد تحصين القلعة فى دمشق . وتخطيط

بنائها هام جداً من الناحية الهندسية فهى على الطراز الأيوبى القليل الارتفاع بسيطة الزخارف حسنة التنسيق وهى اليوم مقر المجمع العلمى العربى .

المدرسة الظاهرية :

تقع مقابل المدرسة العادلية وقد بنيت عام ١٢٧٩ ويرقد فيها الملك الظاهر بيبرس وابنه الملك السعيد وواجهة المدرسة الظاهرية من أجمل ما بنى المماليك وهى مشيدة بالأحجار الصقيلة النحت وفوق باب المدخل الرئيسى صفوف من الكتابة العربية ومقرنصات جميلة .

أما جدرانها فمكسوّة بزخارف من الرخام والفسيفساء وتضم اليوم مكتبة عامة غنية تعرف باسمها .

قصر العظم :

لعل هذا القصر أطرف أبنية دمشق القديمة وأجملها وهو أنموذج رائع لطراز البناء الدمشقى الأصيل ، شيده والى دمشق أسعد باشا العظم عام ١٧٥٠ م وتحيط بالقصر من جهاته الأربع قاعات واسعة وفيه طابقان : الطابق الأول صحن فيه بركة مياه

مستطيلة ، وفى شماله رواق يؤدى إلى قاعة رحبة مربعة تتوسطها بركة فاخرة من المرمر ، وسقف القاعة غاية فى الفن والإبداع فيه صور منقوشة ونافرة وزخارف من الفسيفساء ومقرنصات .

ويشتمل القصر على مجموعتين من الأبنية ، السلاملك والحرملك : الأول لاستقبال الأضياف والثانى مخصص للحريم كما يدل عليه اسمه ، ويلحق بهذا القسم المدخل والمطابخ والحمام .

وقد أنفق على بنايته أموالا طائلة واستقدم له مئات من المهرة من الصناع فأخرجه طرفة عجيبة تدهش الناظر بما فى القصر من أعمدة وخشب محفور وقيشانى وفسيفساء وما إليها .

خان أسعد باشا :

يرجع تشييده إلى عام ١٧٥٢ وهو من أظرف البنايات الدمشقية وأرشقها ، فيه باحة واسعة تتوسطها بركة كبيرة مضلعة ومن حولها أروقة وحوانيت تجارية وعند مدخل الخان سلّمان يؤديان إلى الطابق الأعلى وفيه غرف للسكن .

ويتألف سقف الخان من قبة ضخمة فى الوسط ومن ثمانى قباب صغيرة قائمة على أربع دعائم ، وقد بنيت الدعائم والقناطر

والجدران من الحجرين الأسود والأبيض المتعاقبين .

وتعتبر جبهة الخان الغربية أثراً فنيًّا نادراً ؛ ففيها العمد المنقوشة وفيها المقرنصات وكوتان لكل منهما محراب لطيف .

السوق الطويلة (الشارع المستقيم) :

وكانت تقطع المدينة من طرفها الغربى إلى الطرف الشرقى فى خط مستقيم ، وهى مغطاة بسقف نصف دائرى فيه طاقات صغيرة ، ويتفرع عن هذا الشارع عدد من الأسواق لكل منها اختصاصها فواحدة لبائعى الحرير وغيرها لبائعى البزورات وللأقطان وغير ذلك .

وقد اكتشفت مديرية الآثار عام ١٩٤٨ قريباً من مدخل الكنيسة المريمية للأرثوذكس قوساً رومانيًّا وهو يقابل اتجاه الشارع الرئيسى ومن القوس يبدأ الشارع المستقيم (via recta) الذى جاء ذكره فى العهد الجديد حينما ظهر السيد المسيح لحنانيا فى الرؤيا وقال له : « انظر واذهب إلى الشارع المدعو المستقيم حيث يقيم شاول من طرطوس » (القديس بولس) وكان للشارع فى زمن الرومان صفان من الأعمدة . وينتهى بالباب الشرقى وهو أحد أبواب دمشق الرومانية السبعة شيد فى آخر القرن الثانى .

كنيسة القديس حنانيا :

تقع فى زقاق لا منفذ له بين الباب الشرقى وباب توما إلى جوار بيت القديس حنانيا الذى جاء ذكره فى الإنجيل بأنه شفى عينى بولس الرسول . وتقع الكنيسة تحت مستوى الأرض وسقفها وجدرانها صخرية ، وكان إلى جوارها آثار كنيسة المصلبة التى كانت قديماً معبداً ، وفيه مذبحان يزين أحدهما رأس ثور ويحمل الآخر نقوشاً يونانية تدل على أنه مكرس للإله السماوى الوطنى والسيد (والمقصود بذلك الإله حدد أكبر آلهة دمشق) .

كنيسة القديس بولس :

على بعد ٣٠٠ متر من الباب الشرقى يقع باب كيسان الذى دخل منه عامل معاوية إلى دمشق وهو اليوم مسدود يؤلف مدخل كنيسة القديس بولس التى يقال إنها بنيت فى نفس المكان الذى دلى منه هذا القديس فى سلة من فوق الأسوار لتخليصه من أيدى اليهود الذين كانوا يطاردونه .

قصر الحير الغربى :

أو فى الأحرى واجهة هذا القصر الذى ابتناه هشام بن عبد الملك الخليفة الأموى بين القريتين وتدمر على طريق دمشق. وقد جمعت من خرائبه قطع جصية يربو عددها على خمسين ألف قطعة بمعرفة خبراء عالميين فى الفن والآثار وتطلب هذا العمل شيئاً كثيراً من الجهود . فكان منها الواجهة القائمة اليوم جانب من جوانب المتحف بدمشق ويبلغ ارتفاعها ستة عشر متراً ، وفيها نوافذ عديدة وأقواس مختلفة الأحجام تقدم للرائى مثالا عن الفن العربى فى مستهل نشأته وعن تأثراته الأولى بالمدنيتين البيزنطية والفارسية .

التكية السليمانية :

شيدها السلطان سليمان القانونى سنة ١٥٦٠ ودام بناؤها ست سنوات على أنقاض قصر قديم للملك الظاهر بيبرس هدمه تيمورلنك وكان يدعى (القصر الأبلق) وقد بنيت التكية وفاقاً لمخطط المهندس سنان باشا وهى تضم مسجداً كبيراً وتكية .

ويقع المسجد فى القسم الجنوبى من الصحن وتعلوه قبة

رئيسية كبيرة إلى جانبها مئذنتان ممشوقتان من الحجر الأبيض جوانبهما مضلعة ، وللمسجد رواقان سقف أحدهما مائل وتزين سقف الثانى ثلاث قباب ، وواجهة المسجد والمحراب وأرض الرواقين مزينة بألواح القيشانى وفيه نوافذ جصية مطعمة بفصوص الزجاج.

وأمام المسجد بركة مستطيلة واسعة ، ويمتد أمام التكايا (الغرف التى كانت معدة للدراويش) رواق فى سقفه قبة ومدخنة لكل غرفة .

ويغلب على التكية طابع البساطة الزخرفية الأنيقة ويقصدها السياح من كل مكان ويتخذها الفنانون أنموذجاً لآلاف الرسوم والصور وقد أصبحت علماً مشهوراً لمدينة دمشق .

ضريح الشيخ محيي الدين :

هو مسجد بناه السلطان سليم سنة ١٥١٨ على قبر المتصوف الإسلامى الأكبر ابن العربى ومئذنة المسجد من الطراز السورى ، أما قبته فكبيرة ومغطاة بالقيشانى ، وقد أحيط القبر بجدران من شبك الفضة ، ويرقد إلى جوار الشيخ ابن العربى الأمير عبد القادر الجزائرى المشهور بمقاومته العنيفة للاحتلال الفرنسى التى دامت سبعة عشر عاماً ، وقد اختار هذا الأمير دمشق فنفى اليها وتوفى فيها عام ١٨٨٢ م .

متحف دمشق

أسس هذا المتحف سنة ١٩١٩ واتخذ مقره الحالى بين نهرى بردى وبانياس عام ١٩٣٦ ثم توسع تدريجيًّا حتى بلغت مساحته الحالية أحد عشر ألف متر مربع .

ومظهر المتحف بسيط وأنيق وفيه طابقان وطابق سفلى وهو يعتبر من أهم متاحف العالم لاحتوائه آثاراً فريدة لا تقدر بثمن .

ويقسم إلى أربعة أجنحة متميزة وهى :

١ ــ جناح الآثار السورية الشرقية .

٢ ــ جناح الآثار السورية فى العصور اليونانية والرومانية والبزنطية .

٣ ــ جناح الآثار العربية الإسلامية .

٤ ــ جناح الفنون الحديثة أو المعاصرة .

وأهم موجودات القسم الأول مجموعة آثار مارى من تماثيل الألباستر وقطع الصدف ولوحات الفخار وآثار رأس شمرا (أوغاريت) ومن ضمنها حجر الألفباء الفينيقية وهى أقدم الفباء عرفت فى العالم (القرن الرابع عشر ق . م) والرأس العاجى واللوح

العاجى المنقوش الذى يبلغ طوله متراً وعرضه نصف متر والمجموعة البرونزية الثمينة .

وقد تضمن الجناح الثانى مجموعة كبيرة من التحف التى تمثل تطور الفن اليونانى الرومانى فى الشرق القديم .

وفى هذا القسم أعيد بناء الكنيس الذى اكتشف عام ١٩٣٣ تحت رمال دورا أوروبوس (صالحية الفرات) ويرجع تاريخ بنائه إلى منتصف القرن الثالث الميلادى وفيه صور جدارية تمثل فصولا من العهد القديم فى الكتاب المقدس لا تزال محتفظة بألوانها الزاهية حتى اليوم .

ومن أهم معروضاته التدمرية ضريح عائلة (يرحاى) الذى شيد فى أوائل القرن الثانى الميلادى ، وهو مزين بتماثيل نصفية ، وبمحاريب فيها مجموعات لمآدب جنازية هى غاية فى الفن والإبداع ، وفى قاعة تدمر لوحة من الفسيفساء تمثل الملكة كاسيوپيا عارية مع عرائس البحر .

والجناح اليونانى الرومانى زاخر بالتماثيل والألواح البازلتية التى اكتشفت فى حوران وجبل الدروز ، وفيها تمثال الربة منيرفا (اللات) ولوحة الفسيفساء الجميلة التى نقلت من شهبا .

ويحتوى هذا القسم على التحف الذهبية والخوذة الهامة التى

اكتشفت فى مغارة بحمص . وعلى تمثال إسبازيا وعلى مخلفات زجاجية فريدة .

أما جناح الفن الإسلامى فيضم واجهتى قصر الحير الخارجية والداخلية وآثار مدينة الرقة من الزجاج والخشب والنحاس والخزف ، وآثار العهود الأموية والعباسية والطولونية والإخشيدية والحمدانية والفاطمية والسلجوقية والأموية والمملوكية والعثمانية وغيرها . كما يضم هذا الجناح مجموعة من المخطوطات الفنية .

سوق الحميدية :

تكاد تكون لهذه السوق شهرة تضارع الآثار الهامة الموجودة فى دمشق وهى دائماً مكتظة بالسائرين مليئة بالحياة وقل أن يزور غريب العاصمة السورية دون أن يقصد سوق الحميدية للفرجة ولشراء المصنوعات الدمشقية الخالصة كحرير البروكار والأشغال الخشبية المحفورة والموازييك والأشياء المطعمة بالأصداف والأوانى النحاسية المنقوشة التى نزلت فيها الفضة أو الذهب أو غير ذلك .

والسوق ظليلة دائماً وهى مغطاة من أولها إلى آخرها وبذلك تصون قاصديها من حرارة الشمس صيفاً ومن المطر شتاء . وطول هذا الشارع سمائة متر فى عرض ١٥ متراً .

وتنتهى السوق بالقوس المثلث المتبقى من معبد جوبيتر وبعده بالجامع الأموى الكبير .

القلعة :

شكلها مستطيل ١٥٠ م × ٢٢٠ م ولها عدة أبراج متباعدة جدد بناؤها الملك العادل أخو صلاح الدين الأيوبى (١٢٠٦ م) وأحسنُ أسوارها محافظة على الشكل القديم السور الجنوبى وهو منسجم منسق وطراز بنائها أيوبى وجدد بعض حصون القلعة وأسوارها كل من الظاهر بيبرس والسلطان قلاوون وابنه الناصر وغيرهم .

سور دمشق وأبوابها :

لم يبق من سور المدينة الرومانى القديم على حالته الأولى سوى جزء بسيط ؛ فقد أصلح ونقل اتجاهه عدة مرات خلال العصور المتوالية ويمكن رؤية قسم منه قريباً من باب توما و بمحاذاة الباب الشرقى باتجاه باب كيسان ، وقد شيد من كتل كبيرة وفيه آثار تدل على معاصرته عهوداً رومانية و بيزنطية وعربية وتركية ، وقد بنيت عليه هنا وهناك أبراج مستديرة ومربعة .

والباب الشرقى (القرن الثانى الميلادى) المذكور هو الوحيد

الذى وصل إلينا من الأبواب السبعة الرومانية وهو فى منتهى الشارع المستقيم .

وهناك باب توما الذى أعاد بناءه الملك الناصر داود الأيوبى (١٢٢٨ م) .

وباب السلامة أو السلام وسمى كذلك لأن اقتحام المدينة من هذا الباب متعذر .

وباب كيسان وهو اليوم مسدود ويؤلف جزءاً من مدخل كنيسة القديس بولس وباب الفرج وباب الفراديس والباب الصغير .

صيدنايا :

يبلغ علوها عن سطح البحر ١٤١٥ متراً وتبعد عن دمشق ٣٧ كيلومتراً وفيها دير مهيب مبنى على جبل صخرى يسيطر على القرية بكاملها وعلى السهل المجاور ، ويمكن الوصول إليه بواسطة سلم صخرى وحجرى صعب الارتقاء ، وفى الدير باحات وسلالم حجرية كثيرة متفاوتة الأسطح وفيه عدد كبير من الغرف تقطنها راهبات أرثوذكسيات .

على أن أهم ما فيه دون شك مزار مقدس يحج إليه آلاف

المؤمنين من جميع أنحاء العالم للتبرك بأيقونة عجائبية للسيدة العذراء .

ويرجع تاريخ بناء هذا الدير إلى عهد يوستنيان فى القرن السادس وكان الصليبيون يدعونه دير سيدة صيدنايا ولا يزال يعرف حتى اليوم بهذا الاسم .

معلولا :

من قرى القلمون (سلسلة جبال لبنان الشرقية) يبلغ ارتفاعها عن سطح البحر فى بعض الأمكنة أكثر من ١٧٠٠ متر وتبعد عن دمشق ٦٠ كيلومتراً . وهى مبنية على مدرج صخرى بعض بيوتهـــا حتى اليوم مغارة طبيعية فى الجبل أضيف إليها سلم وباب وكان المعلوليون يتحصنون فى حالات الخطر بالمغاور الجبلية الكبيرة كما فعلوا عام ١٨٦٠ أثناء حوادث دمشق وفى عام ١٩٢٥ خلال الثورة السورية ضد الفرنسيين .

وفى القرية شق بين جبلين يدعى (الفج) هو ممر طبيعى ضيق مرتفع الجدران لعله من أروع ما يشاهده المرء من مناظر سوريا ، وتروى أساطير الدير أن القديسة تقلا التجأت إلى معلولا هرباً من الأعداء الذين كانوا يلاحقونها فانشق أمامها

الجبل لكى تعبر منه إلى الأمان .

وتضم معلولا عدداً من الآبار بينها مغاور متفاوتة الاتساع محفورة فى الصخر وقد نقش على جدران بعضها عبارات يونانية .

وفى أسفل القرية معبد رومانى قديم يدعوه أهل القرية حمام الملكة ويقولون إن القدماء والوثنيين كانوا يمارسون فيه الشعائر الإباحية حتى قام فيهم قديس يعظهم صباح مساء ولكنهم لم يتعظوا فأهلكهم الله .

وعندما اعتنق المعلوليون الديانة المسيحية حوّلوا المعبد إلى كنيسة .

وفى القرية دير كبير للأرثوذكس على اسم مار تقلا فيه مغارة تضم رفات هذه القديسة ويشاهد زائروا الدير الماء يقطر من صخرة فى سقف المغارة .

وفى مكان معروف مرتفع من معلولا يقوم دير مار سركيس للكاثوليك قبته من العهد البيزنطى هو يطل على كروم البلدة وحدائقها .

على أن أهم ما يلفت انتباه العالم اليوم إلى معلولا كون أهلها لا يزالون يتكلمون اللغة الآرامية القديمة التى كان السيد المسيح يخاطب بها الجموع ويعظهم .



الشق الصخرى بمعلولا (الفج)

ويلاحظ أن أهل البلدة يتقنون هذه اللغة بالتناقل من الأجداد للآباء للأبناء ولكنهم يجهلون طريقة تدوينها . أى أنها عندهم لغة مخاطبة لا كتابة . لذلك يفكر أولو الأمر فى البلاد بإلزام تعليمها فى مدارس معلولا وقريتين أخريين فى القلمون يتكلمها أهلهما حفظاً عليها من الضياع مع الزمن .

حمص

حمص ثالث المدن السورية تبعد عن دمشق مسافة ١٦٣ كيلومتراً ويبلغ ارتفاعها عن سطح البحر ٤٦٠ متراً وتعتبر من أصحها هواء وتربة . تقع فى وادى العاصى الخصيب أما سكانها فيبلغ عددهم ١٥٠ ألفاً . وهى على مفترق من الطرق إلى كافة الأنحاء السورية ، إلى الشاطئ وإلى دمشق وإلى حلب وإلى تدمر ، وهى سوق كبيرة لسكان البادية .

كان اسمها قديماً إيميزا وكانت تحكمها فى زمن الرومان أسرة عربية حتى استولى عليها الإمبراطور دوميسيان . وأصبحت مشهورة فى العالم عند ما اقترن الإمبراطور سبتيموس سيفيروس بجوليا دومنا الحمصية فى القرن الثالث الميلادى ، ثم أخذ الأباطرة

بعده يعتبرون إيميزا وطنهم وعلى الأخص هليوكابال (٢١٧ م) الذى ولد فيها وكان كاهناً لمعبد الشمس الأكبر وقد خصها بامتيازات كثيرة ساعدت على ازدهار المدينة . وفى حمص قهر أورليانوس جيش تدمر (٢٧٢ م) وبقيت قلعة منيعة بعد أن استولى عليها العرب ٦٣٦ م ثم الصليبيون (١٠٩٩ م) وليس فى تاريخ المدينة بعد ذلك من الحوادث الهامة سوى ثورتها على إبراهيم باشا المصرى عام ١٨٣٢ .

أهم آثارها :

الجامع الكبير : ومئذنته الجميلة وقد بنى مكان كنيسة قديمة .

جامع خالد بن الوليد : وبناؤه حديث غير أن له أهمية تاريخية . إذ يقال إنه يضم ضريح القائد العربى الكبير خالد بن الوليد الذى فتح مدينة حمص .

القلعة : وهى فى أعلى هضبة اصطناعية لم يبق فيها بعد أن هدمها إبراهيم باشا سوى بقايا أبراج تدل على توغل تلك القلعة فى القدم كما تدل على ذلك آثار تحصينات من عهود الحضارات القديمة .

ومن القلعة يقع بصر الزائر على منظر رائع للمدينة وضواحيها.
وفى حمص متنزه مشهور على نهر العاصى اسمه الميماس يتغنى به الشعراء ويقصده أهل المدينة فى الصيف للمتعة والتنزه .

تدمر

تربض تدمر المدينة التى تدعى عروس الصحراء ، وعاصمة زنوبيا ، على بعد ٢٣٥ كيلو متراً من دمشق وعلى مسافة ١٦٥ من حمص . وفى الطريق إليها من دمشق يمرّ المُسافر بجيرود وبالقريتين وبقصر الحير الذى نقلت واجهته إلى متحف دمشق .

من أوائل سكانها الكنعانيون وهم الذين أدخلوا إليها عبادة الإله بعل وبعدهم الآراميون وكانت لغتهم سائدة فى تدمر فى مطلع القرن الأول المسيحى .

ثم أصبحت تدمر تابعة للإمبراطورية الرومانية(١٤ — ٣٧) ودعيت بالميرا — ومنحها هدريانوس (١١٧ — ١٣٨) لقب المدينة الحرة .

وأصبحت بفضل أسرة سيفيروس السورية مستعمرة رومانية

فأعفى سكانها من دفع الضرائب وسمح لهم بحمل لقب مواطنين رومانيين .

وازدهرت تجارتها واقتصادياتها لوقوعها ممراً للقوافل الحافلة ببضائع الشرق وبضائع الغرب حتى منتصف القرن الثالث وسطت سيطرتها فى عهد أذينة وزنوبيا على بلاد كثيرة فى البحر الأبيض المتوسط .

كان أذينة يتمتع بلقب مصلح الشرق كله وكانت له سلطات واسعة جداً وخاصة من الناحية العسكرية فلما قتل تولى الملك بعده ابنه وهب اللات ، ولكنه ترك الحكم الفعلى لأمه زنوبيا وكانت زنوبيا تطمع فى جعل ابنها إمبراطوراً . وفى عام ٢٧٥ــ٢٧١ ق . م احتل القائد التدمرى زبدا مصر ثم آسيا محطماً فى كل مكان الجيوش الرومانية واتخذت زنوبيا لابنها لقب إمبراطور وذلك معناه ثورة صريحة على الإمبراطور أورليانوس وتنبه الرومان إلى خطر هذه الملكة الطموح على نفوذهم عبر البحار فحمل أورليانوس على جيوش القائد زبدا واضطره للانسحاب عن آسيا الصغرى والتراجع إلى حمص وإلى تدمر وشدد أورليانوس الحصار على زنوبيا فى تدمر ففرت تستنجد بالفرس ولكن قبض عليها وهى تجتاز الفرات وعندئذ

سلمت تدمر لأورليانوس فاستولى على كنوز زنوبيا وأموالها وقادها معه أسيرة إلى روما (٢٧٢ ق . م) حيث ماتت فى قصر قرب تيبور .

ولكن تدمر لم تكن تستكين فبين آن وآن كان التدمريون يثورون فيقتلون الحامية الرومانية فيعود إليهم الإمبراطور ويسلّم المدينة للنهب .

وثارت تدمر فيما بعد على الخليفة مروان بن محمد فقصدها مروان وحاصرها ثم دخل إليها وخرب سورها البيزنطى وقتل أهلها (٧٤٥ م) .

وحدثت فيها زلازل وهدمها الفاتحون مراراً حتى ضعف شأنها وأصبحت مدينة نائمة فى الرمال ولكن انتقام الغزاة ومعاول الزمن لم تستطع أن تمحو آثار عظمة تدمر الخالدة . وها هى زى اليوم تعود فتصبح هدفاً للسائحين والمنقبين يقفون دهشين معجبين بالآثار الرائعة وما فيها من دقائق فنية .

الآثار :

تعتبر آثار تدمر أهم الأوابد السورية وتنقسم إلى ثلاثة أقسام رئيسية :

المعابد — المدينة — المدافن

أما المعابد فلم يبق منها اليوم سوى معبد بعل ومعبد بعل شامين .

ويتألف معبد بعل من صحن خارجي مربع الشكل طول ضلعه أكثر من ٢٠٠ متر محاط بجدار ارتفاعه ١٤ متراً ومدخل المعبد الرئيسي من الجهة الغربية يؤدي إلى رواق كان فيه ٣٩٠ عموداً وطول المعبد ستون متراً في عرض واحد وثلاثين يحيط به ٤١



شارع الأعمدة بتدمر

عموداً . ومن جدرانه اثنان فقط ما يزالان قائمين وقد تهدم أكثر قبته ، فيه نقوش تدل على أن المعبد قد شيد فى القرن الأول للميلاد .

المدينة :

لم يتغلب من عاصمة زنوبيا القديمة على الزمن سوى شارع الأعمدة الجبارة الذى كان يقطع المدينة من الشمال إلى الشرق فى مسافة تتجاوز كيلو متراً ومائة متر وكان عدد الأعمدة من كل جانب ٣٧٥ علو واحدها ١٧ متراً غير أنه لم يبق منها اليوم سوى ١٥٠ عموداً .

أما معبد بعل شامين فهو أصغر من المعبد الكبير ولم يزل محتفظاً بحالته الأولى وفى بنائه ذوق ولطف بنى فى عام ١٣٠ م ويتألف من قاعة مستطيلة ورواق يرتكز سقفه على ستة أعمدة كان يحيط به سور .

وفى تدمر معبد آخر قائم وراء معسكر ديو كلسيان يرتقى إليه بدرج ضخم ويتألف من قاعة كبرى وثلاث صغيرات المتوسطة منها تحوى محراباً .

المدافن — وهى أنواع : قبور الأبراج والمدافن المنزلية والأقبية المحفورة تحت الأرض وهى مبعثرة حول المدينة ويأتى

أكثرها غرباً فى وادى القبور .

وقبور الأبراج يتجاوز عددها فى تدمر ١٥٠ وهى مربعة الشكل ومؤلفة من ثلاثة أو أربعة أدوار (طوابق) فى جدرانها غرف صممت لتضم توابيت الموتى .

وتتألف المدافن المنزلية من باحة مربعة تحيط بها أروقة ذات أعمدة ، وقد حفرت فى جدرانها تجاويف للتوابيت وبعضها فيه زخارف جميلة .

على أن قبور الأقبية هى أروع المدافن وأغناها بالنقوش والزخرفة ، والهبوط إليها بواسطة سلم وتتألف فى الغالب من ردهة وثلاثة أواوين نقبت فى جدرانها تجاويف كانت التوابيت توضع فيها ويسد بابها بصورة الميت النصفية المنحوتة أو المصورة . وبعض الجدران والسقوف فى تلك المدافن ما يزال محتفظاً برسوم ونقوش غاية فى الإبداع والفن وكان فى بعضها تماثيل متقنة وفسيفساء رائعة الصنع نقل أكثرها إلى متحف تدمر وإلى المتحف دمشق .

وقد أظهرت التنقيبات مؤخراً مسرحاً كبيراً إلى القرب من شارع الأعمدة . وأغلب آثار تدمر من العهد الرومانى وأقلها من العهد البيزنطى . أما الآثار العربية فتمثلها القلعة المنسوبة إلى

فخر الدين بن معن (القرن السادس عشر) وقد بنيت هذه القلعة على قمة جبل يقع غربى آثار تدمر ويحيط بها خندق عمقه ١٢ متراً يمنع الوصول إلى القلعة إلا بواسطة جسر ضيق . وقد شيدت جدران القصر من الحجر الضخم ، وفيها باحتان وسبعة أبراج وتشرف القلعة على كافة آثار المنطقة وعلى واحة تدمر ومنظرها مهيب .

قلعة الحصن :

على مسافة ٤٠ كيلومتراً من حمص ، وكانت تعرف فى العهد الصليبى باسم حصن الفرسان وقد يقال لها اليوم (حصن الأكراد) وهى دون ريب من أمنع الحصون وأبقى القلاع الصليبية فى العالم على الزمن .

وقد ابتنى أمراء حمص القلعة وجعلوا لها حامية كردية عام ١٠٣١ فاحتلها الصليبيون أولا عام ١٠٩٩ ثم عام ١١١٠ وقد صمدت لهجمات إسلامية كثيرة حتى سقطت أخيراً فى قبضة الظاهر بيبرس عام ١٢٧١ . وقد قوى بيبرس وقلاوون تحصيناتها عام ١٢٨٥ وكانت فى العهد العثمانى مقراً لحاكم الإقليم .

والقلعة اليوم محاطة بصفين من الأسوار لكل منهما خندق

مستقل تغذى الخندق الداخلى بالماء قناة حجرية . يرجع تاريخ السور الأول إلى عام ١٢٠٠ ومدخله من الشرق ويرتقى منه إلى أعلى السور وقد جهز بكل وسيلة ممكنة للدفاع .

أما السور الخارجى فقد توفرت فيه الأبراج الدفاعية المستديرة المتصلة بين بعضها البعض بواسطة ممر ضيق — وهذه الأبراج كلها بنيت سنة ١٢٠٠ ما عدا البرج المربع الكبير شيده قلاوون عام ١٢٨٥ وهذا البرج له قاعة ذات سقف نصف دائرى تعتمد على عمود مربع ضخم .

وقد نصب الصليبيون طاحونة هوائية على أحد هذه الأبراج ؛ والسور الداخلى وعلوه ٢٠ متراً هو أعلى من الخارجى ويشرف عليه وخلفه مباشرة ممر ذو قنطرة وله منافذ لرشق السهام .

ويمكن دخول الباحة السفلى من الباب الشرقى فتقابل الداخل واجهة ذات أعمدة رائعة تؤدى إلى قاعة كبيرة ٧ × ٢٥ متراً ولها ثلاث قناطر . وفى القلعة قاعة شديدة الاتساع ٨ × ١٢٥ متراً ذات سقف قناطرى يرتكز إلى ٢٠ عموداً ويستطيع الزائر إذا صعد على برج معين أن يرى البحر وأن يرى بحيرة حمص والبادية من برج آخر . كما يستطيع أن يرى جبال الشمال والجنوب .

دير مار جرجس :

ويقع على بعد كيلو مترين شرقي قلعة الحصن ضمن منطقة حراجية كثيفة ، وقد شيد الدير في العهد البيزنطي وفيه هيكل خشبي دقيق الصنعة من القرن الثالث عشر وهو لطائفة الروم الأرثوذكس وعلى مقربة من الدير عين ماء مشهورة منذ أقدم الأزمنة بصفاتها العجائبية والصحية .

حماه

حماه (حامات القديمة) تبعد عن دمشق ٢٠٣ كيلو مترات ويبلغ عدد سكانها مئة ألف نسمة وهي من أكثر المدن السورية احتفاظاً بالطابع الشرقي والتقاليد المحلية وبعداً عن المدنية الغربية .

ليس لدينا وثائق عن تاريخ إنشائها ولكن المعروف أنها قديمة جداً ويقال إن بانيها هو الملك أرادوس باني جزيرة أرواد . سكنها من القدم الآراميون وجعلوها عاصمة ملكهم الشمالية واستولى عليها الحثيون في مطلع الألف الأولى قبل المسيح ثم تغلب عليها ملك الآشوريين صارغون الثاني (٧٢٠ ق . م) وأحرق قلعتها وقتل محاربيها وتتابعت عليها فتوحات الكلدانيين

والمصريين والفارسيين وفى عام ٣٣٣ ق . م فتحها الإسكندر المكدونى وفى عام ٣٠٠ أصبحت جزءاً من مملكة السلوقيين .

وفى سنة ٦٣٩ فتحت أبوابها للجيش العربى المنتصر بقيادة أبى عبيدة الجراح وظلت فى يد العرب حتى أخذها الصليبيون فى القرن الثانى عشر الميلادى ثم استعادها صلاح الدين سنة ١١٧٨ وحكمها بعده أحد أحفاده وسلالته من بعده فى ظل سلاطين مصر المماليك حتى عام ١٣٤٢ . أما فى العهد العثمانى فقد أضاعت حماه أهميتها السالفة لتصبح مقراً لباشا تركى .

آثارها :

قبر أبى الفداء المؤرخ الجغرافى المشهور الذى كان ملكاً على حماه (١٣١٠ — ١٣٣١ م) وهو من أقارب صلاح الدين الأيوبى .

ضريح الملك المظفّر : وهو فى المسجد الذى بناه هذا الملك فدفن فيه (القرن الثالث عشر) يحوى تابوتين من الخشب مرصعين بالعاج متقنى الصنع .

جامع الحيات : وهو يجاور ضريح أبى الفداء ، وأسواره

مضفورة على شكل حيات وبناؤه رشيق جميل .

قصر العظم : وقد كان بيتاً لوالى حماه أسعد باشا وفيه صحنان وغرف مزخرفة بالنقوش العربية الملونة وقاعة تقوم على مدخلها أعمدة لطيفة .

الجامع الكبير : من العهد الرومانى وكان فى الأصل معبداً للأوثان ثم كنيسة ، ولا تزال بعض الآثار فيه تدل على ذلك .
وفى مصلاه منبر خشبى منحوت من القرن الخامس عشر .
قبة الحسنين : يرجع تاريخها إلى عام ١١٥٧ م .

وتقع حماه وسط بساتين غناء على ضفتى نهر العاصى والمناظر الطبيعية فيها بهجة للعيون وما تزال فيها أقنية رومانية ونواعير تنقل ماء النهر لرى الأراضى والحدائق المجاورة والبعيدة كما تنقلها إلى المنازل والحمامات .

وللنواعير منظر شعرى جميل وهى عجلات خشبية جبارة تلتف حولها صناديق متقاربة تدور بقوة المجرى فتغترف الماء وترتفع به لتصبه فى الأقنية الحجرية التى سبق ذكرها .

آثار ضواحي حماه

قلعة شيزر :

على بعد ٢٣ كيلومتراً من حماه ، وهى حصن عربى لأمراء بنى منقذ استولوا عليها من البيزنطيين فى القرن الحادى عشر الميلادى وصمدوا فيها زمناً لهجمات الصليبيين وقد استردها من هؤلاء الملك الظاهر بيبرس وقد انقرضت معالمها اليوم إلا بعض أسوارها الشاهقة والجسر الذى يصلها بالمدينة .

والقلعة مبنية على منحنى من نهر العاصى وتتحكم فى ممر استراتيجى على غاية من الأهمية وقد أدرك ذلك الفاتحون الأقدمون فاستفادوا منه .

وقد هدم المغول هذا الحصن وأعاد بناءه الملك الظاهر متخذاً قلعة حلب أنموذجاً له .

قلعة المضيق :

سماها سلوقوس نيكاتور أحد قواد الإسكندر الكبير أفاميا باسم زوجته الأميرة الفارسية وهو الذى بناها وكانت أفاميا مع أنطاكية وسلوقيا أهم مراكز المملكة السلوقية وأحد حصونها الهامة

وكان يحتفظ فيها بأموال الدولة وذخائرها وكذلك بأفيال الحرب.

ثم أمر بنسبيوس بهدم القلعة وفى عام ٥٤٠ احتلها الفرس وأحرق كسرى الثانى المدينة ونفى أهلها واستولى عليها تانكرد الأمير الصليبى (١١٠٦ م) إلى أن استرجعها الملك نور الدين (١١٤٩ م).

وقد كشفت التنقيبات الأثرية (١٩٢٩) عن بقايا معابد قديمة كانت قد أنشئت فى تلك البقاع كما كشفت عن عدد من النقوش اليونانية القديمة. وفى أفاميا اليوم بقايا عمد تدل على كونها أعظم عمد معروفة فى العالم.

قصر ابن وردان :

تعتبر خرائب هذا القصر من أروع الآثار البيزنطية المتبقية فى شمال سوريا ومن بينها كنيسة لها قبة هامة وقصر وهما فى حالة جيدة، وبناء متهدم تماماً لعله كان ذا منفعة عسكرية، وتاريخ تلك الأبنية كما تدل النقوش يرجع إلى عام ٥٥٠ م.

معرّة النعمان :

كان الصليبيون يدعونها مارة وفيها ضريح الشاعر الفيلسوف

العربي أبي العلاء المعرى .

وفى المعرة أعمدة قديمة والمدرسة الشافعية ومئذنة جميلة من القرن الثانى عشر وخان من القرن السادس عشر .

اللاذقية

سكانها ٥٢ ألفاً وتبعد عن حلب ١٨٣ كيلومتراً وعن دمشق ٣٧١ كيلومتراً وهى منفذ سوريا الأكبر إلى البحر وقد وسع مرفأها مؤخراً بحيث أصبح يستقبل بواخر متوسطة الحجم .

عرفها الفينيقيون باسم راميتا ودعاها سلوقوس نيكاتور لاوذيسيا تكريماً لأمه ومن هذه اللفظة اشتقت المدينة اسمها الحالى ، وكانت فى القديم مرفأ وحصناً هاماً . وقد منحها أنطونيوس الإمبراطور الرومانى مميزات كثيرة وأدخل عليها سبتيموس سيفيريوس تحسينات كثيرة وأصبحت فى أواخر العهد الرومانى مرفأ أنطاكية العظمى أعاد بناءها جوستنيان . وتناقلتها عدة مرات أيد عربية وبيزنطية وصليبية بين سنة ٦٣٨ و ١١٠٢ م حتى استولى عليها صلاح الدين سنة ١١٨٨ م وهدمها ثم استعادها الصليبيون وفى عام ١٢٨٧ أصيبت بزلازل كبيرة وأخذها قلاوون فى العام نفسه .

وتضم اللاذقية أعمدة باخوس وهى مجموعة من ٢١ عاموداً كورنثياً قد تكون رواقاً لمعبد قديم ، كما أنها تضم قوس نصر رومانياً أقيم احتفاء بالإمبراطور سيفيروس .

وتقوم شمال المدينة مدافن أثرية من كل نوع ففيها المقابر والمغاور والأقبية والحفر وغيرها .

رأس شمرا

تقع على بعد بضعة كيلو مترات من اللاذقية ، وقد اكتشفت هناك صدفة عام ١٩٢٩ أنقاض مدينة أوغاريت القديمة التى يرجع تاريخها إلى أواخر عهد مدينة مارى .

وجدت فيها على عمق ١٦ متراً بقايا (نيوليتيكية) وكان للمدينة علاقات فى القرن الرابع قبل الميلاد مع جزيرة كريت ، غير أن اتصالاتها الكبرى كانت فى القرن الثالث قبل الميلاد مع بلاد الرافدين . أما آلهتها فكان منهم داغون وبعل رب المطر والرعد .

اتجهت الأنظار إلى أوغاريت عند ما سقطت مملكة حمورابى (١٨٥٠ — ١٨٠٠ ق . م) وقد اكتشفت فى أنقاض رأس شمرا تماثيل مصرية لأبى الهول ولبعض الفراعنة ؛ ثم

انتفضت أوغاريت على حكامها المصريين فى أواخر عهد السلالة الثامنة ، وكان لسنوات السلام الثمانين بين مصر والحثيين فضل على ازدهار المدينة وقضائها فترة ذهبية طويلة . فزاد عدد سكانها وشيدت فيها دور فخمة لها حماماتها الخاصة ومنشآتها الصحية ومقابرها الهائلة ، وقامت إلى جوار المرفأ مخازن ضخمة ملأى بالجرار الفخارية وأوانى العطور . ثم تعاون أهل المدينة مع الحثيين ضد رمسيس الثانى وحاربوه فى قادش وكانت نهاية العهود الزاهرة فى أوغاريت فى القرن الثالث عشر قبل الميلاد .

وقد وجدت فى أنقاض المدينة مدافن معقودة السقوف لها مداخل فاخرة عرف أنها مستعمرة ميسينية كانت استوطنت هناك .

وأخيراً تلاشت أوغاريت ومدنيتها (١٢٠٠ ق . م) عند ما اكتسحها شعب من وراء البحار . هذا على الرغم من اكتشاف عملة يونانية من القرن السادس تدل على أن الميناء البيضاء كانت مستخدمة حينذاك .

وقد قام بالحفريات فى رأس شمرا السيد كلود شيفر فكشف عن شوارع متوازية ومتقاطعة عمودياً كانت تخترق أحياء واسعة ، أما المنازل فلكل منها باحة وبئر وغرف عديدة منها الحمامات

وتحت كل منزل مدفن للعائلة وبعض أدوات البيت الفخارية وبعض الحلى .

ومن أهم أبنيتها قصر الملوك ولعله من أهم قصور الشرق القديمة بنى من الحجر كشف منه حتى الآن ستون غرفة وباحتان وعشرة سلالم وله شبه ببعض قصور كريت ، وهو يدل على مدى التقدم الذى بلغته فنون البناء فى سوريا قبل ٣٠ أو ٣٥ قرنًا .

وقد امتدت حضارة أوغاريت حتى أواخر الألف الثانى قبل الميلاد وبلغت مدنيتها الأوج فى القرون الأخيرة من حياتها فكانت مرفأ دوليًّا وكان ميناؤها مملوءاً بالعنابر الواسعة والمستودعات التى تغص بالبضائع من كل جهة وإلى كل جهة .

وقد وجدت فى إحدى القاعات أكثر من ثمانين جرة كانت تملأ بالزيت والخمر للتصدير .

وفى رأس شمرا وجد حجر الأبجدية الذى نقل إلى متحف دمشق وهو عبارة عن لوحة فخارية لا تتجاوز عدة سنتيمترات تحوى الإشارات الثلاثين للأبجدية الأولى فى العالم وهى ترجع إلى القرن الرابع عشر ق . م .

إن ابتكار الأبجدية هو حدث خطير وهام بالنسبة للثقافة الإنسانية لذلك قال كلود شيفر : « إن الشعب السورى المكتشف

الأول للأبجدية يستحق أن يحتل مكانة ممتازة فى تاريخ العالم » .

قلعة المرقب :

تأتى فى الأهمية بعد قلعة الحصن وهى تطل فى انحدار شديد على مرفأ بانياس البترولى فى علو يبلغ ٣٦٢ متراً عن سطح البحر. وهى تتحكم فى طريق طرابلس اللاذقية الساحلى والطريق المؤدى إلى القدموس ومصياف .

لها سور مزدوج يتوج أعالى الهضبة وأجمل ما فيها البرج الجنوبى الذى يحمل كتابة من زمن السلطان قلاوون، والكنيسة ذات البابين الأثريين اللذين تعلوهما زخارف حجرية متشابكة ، وللقلعة عدد من الأبراج المستديرة .

وقد بناها العرب حوالى سنة ١٠٦٢م واحتلها البيزنطيون سنة ١١٠٤ ثم الصليبيون سنة ١١١٧ فعدلوا فى بنائها إضافة وتحسيناً حتى أصبحت تستطيع إيواء ألوف من أفراد الحامية ومؤن لخمس سنوات كما تستطيع أن تأوى لدى الحاجة ألفى عائلة وألف حصان.

وفى عام ١٢٨٥ استسلمت القلعة للسلطان قلاوون بعد أن فشلت فى انتزاعها حملات كثيرة سابقة .

قلعة صهيون :

ابتناها البيزنطيون حصناً لهم عام ٩٧٦ واستولى عليها الصليبيون (١١٠٦/١١٠٨) فجعلوا منها قلعة وفى سنة ١١٨٨ أخذها العرب وبقيت فى أيديهم .

وهى تحتل رأساً ضيقاً طويلا (٧٠٠ متر) فى قمة تلة صخرية تحيط بها هاويتان ، وبذلك كان يتعذر الوصول إليها إلا من الجهة الشرقية. وهنا أيضاً عزل الصليبيون الحصن بأن حفروا خندقاً عميقاً فى الصخر عرضه عشرة أمتار في عمق ثلاثين متراً مبقين على إبرة صخرية لها هذا العلو وجعلوها مستنداً لجسر متحرك يصل القلعة بما يجاورها من أرض فى ناحية الشرق . ولا تزال هذه الإبرة قائمة حتى اليوم تشهد على العمل الفنى الجبار الذى كان يهدف إلى حماية الحصن من كل هجوم .

ولكن قلعة صهيون كانت على الرغم من هذه الاحتياطات أولى القلاع التى سقطت فى يد السلطان صلاح الدين .

قلعة مصياف :

بناء عربى على الجانب الشرقى من جبال العلويين كان

حصناً للحشاشين – وهو دون شك أضخم ما كانوا يحتلون من قلاع فى زمن الصليبيين . وفى القلعة آثار من أزمنة وأطرزة متباينة جلبت موادها واستخدمت فى بناء القلعة .

برج صافيتا :

دعاه الصليبيون القصر الأبيض ولا يعلم على وجه التحديد تاريخ بنائه . على أن كنيسته قد ترجع إلى القرن الثانى عشر . كان فى يد القوات الصليبية حتى احتله الظاهر بيبرس سنة ١٢٧١ .

وهو يرتفع كالنسر على قمة جبل مطل على واديين من شماله وجنوبه وتتدرج تحته وحواليه بلدة صافيتا ويتألف القصر من سورين الداخلى منهما سداسى متصل بالحصن نفسه .

فيه كنيسة طولها ٣١ متراً فى عرض ١٨ ، وعلو البرج ٢٨ متراً ، وقاعة واسعة طولها ٢٦ متراً وعرضها ١٦ متراً مرتكزة على أربعة أعمدة ، ويشرف القصر على كافة أنحاء المنطقة إلى بعد أربعين كيلو متراً وكانوا يتبادلون من سطحه الإشارات مع قلعة الحصن والقلاع المجاورة .

طرطوس

كانت فى قديم الزمان تابعة لأرواد ثم تفوقت عليها فى العهد الرومانى وظلت مركزاً حربياً هاماً للبيزنطيين لمدة طويلة . استولى عليها الصليبيون أولاً فى عام ١٠٩٩ ثم فى عام ١١٠٣ فبدأوا فى تشييد كاتدرائيتها سنة ١١٢٣ وأصبح مقرها قسما مستقلا عن البلدة وسقطت طرطوس فى يد قلاوون عام ١٢٩١ . وهى ما تزال تحتفظ لليوم ببقايا عصرها الزاهر ، الحصن والكاتدرائية وهذه الأخيرة مشيدة على الطراز الغوطى الرواقى محصنة . طولها ٤٨ متراً فى عرض ٢٨ متراً تزين واجهتها خمس نوافذ ويرتكز سقفها ذو العقود الأربعة إلى عمد بهيئة صليب فى أحدها باب يقود إلى ممر تحت الأرض .

أما حصن طرطوس فله سور مزدوج وأبراج وخندق وقد أصبح أحد الأبراج اليوم مسجداً وما تبقى من الأبنية مساكن حديثة .

جزيرة أرواد

عرفت أيضاً باسم أرادوس وآراد وهى تقع فى البحر على بعد ٣ كيلو مترات من طرطوس — طولها ٨٠٠ متر وعرضها ٥٠٠ متر، — كانت عضواً فى الحلف الفينيقى الثلاثى مع صيدا وصور واشتهر أهلها بمهارتهم البحرية والحربية حتى حدود العاصى. وقد تعاونت مع الحثيين ضد المصريين فى معركة قادش.

ولما اكتسحت جيوش الإسكندر سوريا خضع له ملك



أرواد « ستراتو » ثم بدأت الجزيرة تفقد أهميتها حتى استولى عليها معاوية ثم الصليبيون وكانت آخر معاقلهم فى سوريا حين أخلوها عام ١٣٠٤ م .

ومن الآثار الباقية فى أرواد سور علوه من ٩ — ١٢ متراً بناؤه جبار . هو بلا ريب أحسن سور من العهد الفينيقى لا يزال قائماً ، كما أن فيها قاعتين ومرفأ صغيراً تقوم إلى جانبه عدة أعمدة.

عمريت

مدينة فينيقية على الساحل من طرطوس وكانت لها أهميتها فيما مضى ولم يبق منها ثم سوى مغزلين حجريين يرجع تاريخ نحتهما إلى القرنين الخامس والسابع قبل الميلاد — ولكل منهما قاعدة واسعة تنتهى إلى قمة مستديرة ويبلغ علو أحدهما عشرة أمتار وعليه نقش لأربعة رءوس حيوانية لعلها أُسُود .

ومن بقايا مدينة عمريت برج البزاق بين الطريق والبحر وهو بناء جنائزى مكعب له ست قواعد حجرية علوها الإجمالى ١١ متراً وفى داخله غرف مخصصة للدفن ، وهذا البناء هو أهم ما وصل إلينا من فينقيا القديمة .

وفى عمريت على الضفة الشمالية للنهر خرائب هيكل يعرف

باسم المعبد يتألف من صحن واسع منحوت فى الصخر بطول ٥٥ متراً وعرض ٤٨ متراً وتقوم فى وسط الصحن كتلة مربعة صخرية كانت قديماً ركيزة لتمثال الإله الذى شيد الهيكل لعبادته ، كما يجد الزائر فى الجدار الغربى من المعبد مدخل غرف مقنطرة السقوف.

وقد اكتشفت على مقربة من المعبد تماثيل فينيقية كثيرة نقلت إلى المتاحف . أما الضفة القريبة من النهر فتحوى ملعباً رحباً (٢٢٥ متراً فى ٣٠ متراً) .

الرقة

على الفرات ، بناها الخليفة المنصور سنة ٧٧٢ على أنقاض نيكفوريون التى أسسها الإسكندر الأكبر ودعاها الرومان كالينكون — وقد لعب موقعها دوراً هاماً فى المعارك التى دارت بين البيزنطيين والفرس .

وشيد فيها هارون الرشيد عدداً من القصور لا تزال تحتفظ بأسوار كبيرة من الآجر . يلفت النظر فيها المئذنة وباب بغداد اللذان يرجع تاريخهما إلى القرن التاسع الميلادى ، وبقاياها شواهد على الفن العربى فى أوائل عهده — أما أهميتها الكبرى اليوم ففى أنها تحوى أكبر مجموعة من الأطلال العربية بين كل

مناطق الشرق الأدنى ، وهى جميعاً من عصر العباسيين .

وقد اشتهرت الرقة قديماً بالمصنوعات الفخارية الزرقاء ذات الرسوم السود .

سفيرة

وفيها التل الأثرى الذى أجريت فيه الحفريات واكتشفت بقايا الحثيين الهامة التى تعود إلى الألف الثانية قبل الميلاد .

مسكنه

كان الإغريق يدعونها بار باليسوس وهى من أقدم المرافئ السورية على نهر الفرات مشهورة بخرائبها الأثرية وبمئذنتها الجميلة المثمنة الأضلاع (القرن الثامن الميلادى) .

دورا أو يروبوس (الصالحية)

على بُعد ٤٠ كيلومتراً من مدينة مارى ، تقع على ضفة الفرات اليمنى قريباً من الحدود العراقية السورية . أجريت فيها الحفريات من عام ١٩٢٢ حتى ١٩٣٧ فأسفرت عن اكتشاف صور جدارية

لآلهة تدمر نقلت إلى متحف دمشق وآثار معابد كثيرة وكنيسة مسيحية وسوق وحمامات ، كما اكتشف فيها ١٩٣٢/١٩٣٣ كنيس على درجة كبيرة من الأهمية يتضمن لوحات جدارية ملونة تمثل قصصاً من التوراة وقد نقل إلى دمشق وأعيد تركيبه فى متحفها . ويرجع تاريخ هذه الكنيسة إلى عام ٢٣٥ م .

أسس السلوقيون المدينة عام ٣١٢ ق. م فى موقع استراتيجى هام على هضبة صخرية مرتفعة تتحكم بالنهر وبالصحراء ، ثم احتلها البارثيون وبعدهم الرومان حتى هدمها الفرس عام ٢٥٦ م.

حله

وكانت تدعى قديماً زنوبيا ، لها سور كبير من الآجر مثلث الأضلاع ، وفيه أبراج مربعة متقاربة كانت تهدف إلى منع عبور المضيق على ضفة الفرات .

الرصافة

ورد ذكرها فى التوراة . واستشهد فيها القديس سرجيوس (٣٣٢ م) فدعاها الرومان سرجيوبوليس كما حملت الكنيسة هناك اسم هذا القديس وحجت إليها جموع المؤمنين من كل

صوب ، وقد هدم الفرس المدينة فأعاد العرب بناءها ثم هدمها الظاهر بيبرس ووطن أهلها فى السلمية وفى حماه (١٢٦٠ — ١٢٧٧ م)

والرصافة اليوم مدينة مهجورة بعيدة عن التجمعات الإنسانية وعن المياه . آثارها الباقية : سورها الخارجى وأطواله ٥٠٠ × ٣٠٠ متر فى سماكة ثلاثة أمتار ، لها أربعة أبواب وتدعمها أبراج مربعة وحصون عند زواياها ، والكنيسة بالإضافة إلى بعض أبنية صغيرة بنيت جميعاً من حجر الجص الأبيض فلم تقو على تقلبات الجوّ ، والكنيسة مثل مجسم على تشييد روائع فنية من مواد أولية فقيرة وضعيفة — وكان سقف الكنيسة منظماً بحيث ترتفع ثلاث أقواس ضخمة على أعمدة هى غاية فى الإبداع الفنى ثم أدخلت تحت الأقواس الكبيرة أقواس صغرى لتدعيمها ، وأخيراً أقيمت دعائم جبارة لتسند المجموعة كلها .

ومما يلفت النظر فى الرصافة صهاريج المياه للشرب ذات الأقواس التى لاتزال فى حالة جيدة نسبيًّا .

قصر الحير الشرقى :

ابتنى الخلفاء لأنفسهم فى أطراف البادية السورية وقريباً من الفرات قصوراً ضخمة فكانوا يلجأون إليها هاربين من طراوة

البلاط ورفاه العاصمة لينغمسوا وقتاً فى حياة الصيد والشظف .

وقصر الحير أحد هذه القصور ويقع غربى قرية الطيبة على بعد ١١ كيلومتراً من الرصافة وكان فيما مضى مركزاً لتجمع زراعى هام هو فى واقع الأمر عبارة عن قصرين يبعد أحدهما عن الآخر ٤٣ متراً تحيط بهما جدران من الآجر والجبس والحجر تتخللها أبراج نصف دائرية .

والقصر الصغير منهما وطول ضلعه الواحد ٧٠ متراً وسماكة سوره الخارجى ٢,٤٠ متر يدخل إليه من باب كبير فوقه قوس دائري ويقوم برج ضخم إلى كل من جانبيه .

أما القصر الكبير فطول ضلعه مائة وسبعون متراً ويحمل نقشاً يعزى بناؤه إلى الخليفة هشام بن عبد الملك .

مارى

تقع فوق تل بين دير الزور وأبو كمال على الفرات وقد ظلت مدينة منسية قرابة ٤٠٠٠ سنة حتى أخذت التنقيبات الأثرية تبعثها للنور منذ ١٩٣٣ حين عثر هناك بعض البدو على تمثال مقطوع الرأس فأخبروا بأمره السلطات ، وهى مدينة سامية قديمة جداً (الألف الثالثة ق . م) ، ثلاثة من ملوكها حكموا

بلاد ما بين النهرين ١٣٦ سنة . كما استولى سارجون ونارام سن الأكاديان (٢٤٦٧ — ٢٢٨٧ ق . م) على مدينة مارى .

وبعد ٥٠٠ سنة سقطت مارى فى يد الأموريين الذين جاءوا من الصحراء وأخيراً جاء حمورابى ملك بابل (١٧٥٩ق م) إلى مارى وسلّمها للنهب والحرق ، فتلاشت عظمة مارى ولم يعد اسمها يذكر إلا كمدينة عديمة الأهمية .

وقد كشفت التنقيبات عن قصر ملكى هو أكبر قصر أثرى اكتشف فى الشرق حتى الآن من حيث الاتساع وكثرة القاعات التى تبلغ ٢٦٠ ، ووجدت فى القصر وثائق تاريخية عديدة وتماثيل ثمينة جداً منها لبؤتان برونزيتان وتمثال للربة عشتار من الألباستر كما وجد فيها أكثر من ٢٠ ألف لوحة فخارية مكتوبة بالأحرف المسمارية .

وقد نقل بعض هذه الروائع إلى متحف حلب وبعضها الآخر إلى متحف دمشق .

مدينة تل حلف

تقع فى شمال سورية عند نبع الخابور عثر عليها البارون فون أوبنهايم الألمانى فى الحفريات التى قام بها بين ١٩١١ — ١٩١٣ ثم ١٩٢٩ .

كان للمدينة سور مستطيل طوله ١٠٠٠ × ٦٠٠ متر وفيه ثلاثة أبواب وقد وجد بين الأطلال بناء واسع لقصر ومعبد قاعاته مزينة بالألواح والتماثيل الضخمة التى يعود عهدها إلى القرن الحادى عشر ق . م ، ومنها فى متحف حلب لوح بازلتى يمثل جنيين يحملان عرشاً عليه قرص الشمس المجنح وهما بطلا الأسطورة البابلية قلقامش وأنكيدو وتمثال لكائن خرافى له جسم إنسان وطائر وعقرب كان يزين مع تمثال آخر مثله مدخل القصر المعبد .

مدينة أدينى

(قرب كركميش – جرابلس) حفريات تل أحمر :

وهى مدينة آرامية اكتشف فيها قصر أشورى هام من القرن التاسع ق . م وعدة ألواح حجرية منحوتة منها لوح الإله تيشوب (موجود اليوم فى متحف حلب) ويرى الإله فيه واقفاً على ثور وممسكاً الصاعقة بيد والفأس باليد الأخرى والقرون فى قلنسوته ترمز إلى قوة الإله والرمز الإلهى فوق رأسه يمثل قرص الشمس المجنح .

أرسلان طاش

تقع إلى القرب من تل أحمر . وهى مثلها آرامية — آشورية وجد فى أطلالها قصر ومعبد وتماثيل وألواح منحوتة تدل على تقدم فنى قوى ، ومن أنفس المكتشفات فيها نحو مائة قطعة عاجية منقوشة ، بعضها الآن فى متحف حلب منها ما له قيمة فنية كبيرة ترجع إلى دقة صنعه وإتقانه .

حلب

تبعد حلب ٣٥٥ كيلومتراً عن دمشق وتأتى بعدها مباشرة فى الأهمية بين المدن السورية . سكانها يقاربون ٤٥٠ ألفاً وهى مركز تجارى وصناعى ممتاز تقع فى ملتقى الطرق بين الفرات والبحر الأبيض المتوسط وبين تركيا وسوريا . ولحلب صفة عمرانية بارزة باستخدامها الحجارة المنحوتة البيضاء فى بنائها .

وقد قطع الأتراك عنها نهر قويق الذى يمر فيها فوقعت فى أزمة نقص الماء إلى أن نفّذ أخيراً مشروع تزويدها بالماء من الفرات .

تاريخها :

لا يدرى أحد على التحقيق شيئاً عن نشأة حلب فهى تضيع مع ظلام القرون البعيدة وأول ما يأخذ التاريخ بيدها للنور حين استولى عليها نارام بن الأكادى (٢٤٠٠ ق . م) وظهر بعد ذلك اسمها فى وثائق مصرية وآشورية ثم تدرج بها الزمن فكانت إيالة مصرية فى القرن الخامس عشر ق . م ثم عاصمة لدولة حثية منذ سنة ٨٥٤ ق . م واشترك بعد ذلك الآراميون فى حكمها حتى استولى الآشوريون عليها فى القرن السابع ، وجاء بعدهم البابليون ثم الفرس وكانت حينما فتحها الإسكندر مدينة عديمة الأهمية . غـــير أن سلوقوس نيكاتور وسعها فيما بعد ودعاها بيرويا Beroea ٣٠١/٢٨١ ق . م فازدهرت اقتصادياتها فى ظل السلام الرومانى الذى عم الشرق كله ونما عمرانها كذلك فى العهد البيزنطى حتى هاجمها الفرس فأشاعوا فيها النهب والحريق ولكن جوستنيان أعاد أسوارها ورممها وأعاد لها رونقها فشق طرقاً جديدة وبنى فيها أبنية فخمة كثيرة وشيد فيها الأمويون المسجد الكبير وغيره من قصور عديدة لسكناهم .

وبعد أن أفل نجم العباسيين أصبحت حلب (٩٤٤ م)

عاصمة للحمدانيين وأشهرهم سيف الدولة (٩٣٦ — ٩٦٧ م) ثم دفعت حلب الجزية لأمراء أنطاكية الصليبيين. وقد هدمت المدينة مراراً من جراء الزلازل (١١٥ و ١١٣٩ و ١١٧٠ م) وأعاد نور الدين بناءها بعد الكارثة الأخيرة غير أن موقع حلب المتوسط جلب عليها مصائب أخرى. فقد اكتسحها المغول مرات ثلاثاً سنة ١٢٦٠ و ١٢٨٠ وأخيراً بقيادة تيمورلنك عام ١٣٤٨ وكان عدد كبير من أهلها يقتل فى كل مرة وتنهب وتحرق .

وفى زمن المماليك كانت من أهم المدن الشمالية فى سوريا، أما فى زمن العثمانيين فكانت قاعدة لولاية يحكمها باشا . وقد قاست حلب الأمرين من ظلم الانكشارية ومن زلزال فظيع أصابها عام ١٨٢٢ . وكانت مقر إبراهيم باشا الرئيسى (١٨٣١ / ١٨٤٠م) وحلب اليوم لها مركز مرموق فى اقتصاديات الجمهورية العربية المتحدة .

القلعة :

تعد من أروع الآثار المنتشرة على الأرض السورية ، وهى قديمة جداً وجدت فيها بقايا بيزنطية وآشورية وحثية غير أن بناءها الحالى عربى ولعله أنقى أنموذج لطراز الأبنية العسكرية

العربية ، وهى ليست مؤلفة من كتلة واحدة كالحصون الغربية بل من عدة أبنية تحيط كالتاج بمشارف تلة صخرية .

ويرجح أنها كانت أكروبول حلب القديمة ، مدخلها يقع فى الجهة الجنوبية وبابها متصل بالمدينة بواسطة جسر قام على جانبيه برجان من أوائل القرن السادس عشر يؤدى إلى البرج الكبير . ويرجع تاريخ هذا البناء إلى القرن الثانى عشر حتى القرن الخامس عشر .

وفى داخل البرج دهليز له خمس انعطافات لمقاومة كل هجوم محتمل من العدو ، وتتخلل هذه العطفات ثلاثة أبواب أخذت أسماءها من النقوش التى تزينها . فهناك باب الحيات وعليه ثعبانان متشابكان وباب الأسد الباكى وأخيراً باب الأسد الضاحك وقد احتفظ اثنان من تلك الأبواب بمصاريع حديدية دقيقة الصنع (القرن الثالث عشر) .

وفوق هذا البرج توجد قاعة العرش التى بنيت فى القرن الخامس عشر تزين واجهتها نقوش وزخارف كما تزين باب المقرنصات .

أما فى القلعة نفسها فيجد الزائر بئراً يقال إنها من عهد سلوقوس نيكاتور وشارعاً مسقوفاً ومسجدين يقال للأول منهما

جامع إبراهيم وقد بناه نور الدين زنكى عام ١١٦٥ م والجامع الأعلى وهو الكبير بنى عام ١٢١٣ م وتعلوه مئذنة مربعة الشكل تشرف على المدينة وضواحيها حتى أطراف البادية .

وهناك فى القلعة قاعات رحبة تحت الأرض إحداها حفرت فى الصخر وعلوها ١٨ متراً وهناك سراديب ذات ممرات سرية وفى القلعة مدخل يقال إنه لحمام ملكى له قبة مؤلفة من مقرنصات بديعة .

ويحيط بقلعة حلب من أسفل جدران انحدارية بنيت من الحجر الصقيل لكى تمنع التسلق وتنتهى هذه الجدران بخندق كبير .

ولاشك أن أقساماً كثيرة من هذا الحصن الضخم قد تهدم ولكن الباقى منها يوحى بالجلال والفخامة ويترك أثراً عميقاً فى النفس .

الأسوار :

لا تزال أقسام كثيرة من أسوار حلب العربية البناء قائمة وبحالة حسنة قد بنيت فى أزمنة مختلفة والأقسام السفلى منها تعبر عن كمال الفن العسكرى فى القرن الثانى عشر وما قبله . أما

الأقسام المتوسطة فمن القرنين الثانى عشر والثالث عشر أى فى عهد الزنكيين والأيوبيين ، فى حين أن الأقسام العلوية قد شيدها الأمراء المماليك ومن جاء بعدهم وتقوم على السور الأبراج المبنية فى أوائل القرن الخامس عشر .

وفى حلب عدد من الأبواب أجملها باب قنسرين وباب أنطاكية وفيها باب النصر وباب الفرج وباب المقام وباب الجنان وباب الحديد .

الجامع الأموى :

أعيد بناؤه وترميمه أكثر من مرة بعد أن بناه الأمويون سنة ٧١٥ م وبناؤه القائم اليوم يرجع إلى زمن المماليك (القرن الحادى عشر والقرن الثانى عشر) وله مئذنة جميلة علوها ٥٤ متراً شيدها السلاجقة عام ١٠٩٠ وتدل على ما وصل إليه الفن السورى من إتقان ودقة فى تلك الأيام . وفى الجامع صحن وحرم كبيران ومنبر من الخشب المحفور (القرن الرابع عشر) فيه ضريح يقال إنه للنبى زكريا .

خان الوزير :

فى حلب عدد كبير من الخانات التى كانت تتوقف فيها القوافل وينزل فيها التجار الوافدين إليها من كل مكان بعد أن أصبحت مركزاً تجاريًّا هامًّا فى القرون المتوسطة ، وأشهر هذه الخانات (الفنادق) خان الوزير الذى يرقى زمن بنائه إلى عهد المماليك واجهته من الحجرين الأسود والأصفر ويتألف من باحة واسعة لتحميل البضائع وتفريغها وحول هذه الباحة أبنية مختلفة ذات طوابق تنتظم فيها الحوانيت . وفى حلب خان الصابون بنى فى أوائل القرن السادس عشر وله واجهة مزينة بالنقوش والزخارف البديعة وخان الجمرك الذى شيد فى القرن السابع عشر وكان قديماً موقفاً لتقاضى المكوس (محطة جمركية) .

دار الدلال :

يتبين من كتابة على أحد سقوفها الخشبية المزينة بالحفر والنحت والتلوين أن بناءها من القرن السابع عشر .

أهم أقسامها الصحن الخارجى وفيه حوض مرمرى جميل رصفت أرضه بالرخام الملون واتصل طرفه بمصطبة كان يجلس

عليها الموسيقيون ليحيوا حفلاتهم الساهرة .

وأرض الدار من الرخام الملون المنسق بزخارف هندسية بديعة ، وفي الدار إيوان واسع . وفي الحي المسيحي دور قديمة جديرة بالزيارة والتأمل منها دار غزالة وبيت الصايغ .

المدرسة الحلوية :

وقد كانت قبل القرن الثالث عشر كاتدرائية بيزنطية بنتها الإمبراطورة هيلانة أم قسطنطين (القرن ١٤ م) وهي ما تزال تحتفظ بأعمدة وتيجان كورنثية ، وفيها محراب من الخشب المحفور مرصع بالعاج دقيق الصنع .

مدرسة الفردوس :

بنتها ضيفا خاتون زوجة الملك الظاهر غازي سنة ١٢٣٥ م عند ما كانت وصية على عرش حفيدها الناصر يوسف وتعلو باب المدرسة مقرنصات جميلة . أما صحنها فلطيف يتوسطه حوض وأشجار ظليلة وتحيط به أروقة محمولة على عمد وإيوان وتعلو الحرم قبة وفيه محراب من المرمر وفوقه نقوش خشبية مزخرفة ، ولعل هذه المدرسة (الجامع) من أجمل الأبنية من نوعها في سوريا .

جامع الأطروش :

دعى كذلك باسم أحد حكام حلب (أوائل القرن الخامس عشر) واجهته ذات نقوش بديعة دقيقة الصنع وله مئذنة ذات شرفتين .

جامع التوتة :

هو من أقدم مساجد حلب (منتصف القرن الثانى عشر) أهم أقسامه الواجهة الخارجية الغربية وقد نقشت على بابه زخارف هندسية وكتابة كوفية غاية فى الجمال والإتقان .

المتحف :

تملك حلب أحد متاحف الشرق الأوسط الكبرى إذ أنه يعتبر مخزناً ثميناً للطرائف الأثرية من مخلفات السومريين والحثيين والآشوريين والفينيقيين وغيرهم من الشعوب القديمة . ولعل زيارة المتحف وحدها جديرة بزيارة السياح وعلماء الآثار لو لم يكن فى حلب شىء آخر يستحق الزيارة .
ففى المتحف مجموعة من مكتشفات مدينة مارى كتماثيل

الآلهة والآلهات والعقود الذهبية والحلى المرصعة بالجواهر والأوعية الفخارية اللطيفة واللوحات .

ومن أهم آثار مارى فى المتحف تمثال آلهة الخصب والماء وتماثيل إيشتوب إيلوم والإله شاماش (الشمس) ورأس الأسد البرونزى وعشتروت .

وتجد فى المتحف كذلك كنوز رأس شمرا وتل أحمر وأرسلان طاش المدينة الآرامية الآشورية .

كما تجد فيه الآثار الحثية التى اكتشفها البارون فون أوبنهايم الألمانى فى تل حلف بالقرب من رأس العين .

وفى إحدى قاعات المتحف نصب كبير لإله العاصفة والأمطار الحثى « تيشوب » .

أما القاعة الفينيقية فتضم تماثيل كثيرة من البرونز لآلهة الفينيقيين وحيواناتهم المقدسة ، والفاس المرصعة بالذهب وحديدها أقدم حديد معروف فى العالم (القرن الثامن عشر) ق.م

أسواق حلب :

إن أسواق حلب يعتبرها الأجانب ممثلة لطراز الأسواق الشرقية فى الشرق الأوسط كله .

وهى تبلغ من الطول كيلومترات كثيرة محمية من الشمس والمطر بسقوف حجرية معقودة وهى كأسواق دمشق مقسمة إلى اختصاصات حرفية كالنحاس والصاغة والحرير والأكياس وغير ذلك .

والأرجح أن تكون أسواق حلب ما تزال على حالها لم تتغير منذ مئات السنين ما عدا دخول الكهربا إليها وهذا ما يجعل لها رونقاً خاصًّا لدى السائحين .

الآثار فى محافظة حلب

قلعة سمعان :

تبعد قلعة سمعان ٣٤ كيلومتراً من حلب وتشمل الدير والكنيسة المبنيين بين عامى ٤٨٠ و ٤٩٠ م حول عمود القديس سمعان . كان هذا الناسك قد ارتقى عموداً علوه ١٢ متراً ومساحة قمته أربعة أمتار مربعة وظل عائشاً فوقه ٢٧ عاماً يعظ الناس ويأمرهم بالتقوى حتى مات . وظل المكان بعد وفاته مدة طويلة ملاذاً لتلاميذه وكعبة للحجاج المسيحيين من كل مكان .

والبناء له شكل صليب وتخطيطه رائع ويعتبر أعظم وأضخم أطلال مسيحية فى الشرق تركيبه علمى ونسبه بديعة ولواحقه ككنيسة التعميد وأبنية الدير الأخرى كلها تساهم فى جعل مجموعة أبنية القلعة فريدة فى نوعها .

وتعد الكنيسة أجمل مبتكرات الفن المسيحى فى أوائل عهده وتنتظم حول عمود الناسك باحة مثمنة تتصل بها أربع كنائس فى كل منها ٣ أبهاء على شكل أضلاع الصليب .

والواجهة الرئيسية للكنيسة فيها ٣ أبواب تعلوها أقواس مدورة .

والفن المسيحى السورى الذى يتجلى شىء منه فى قلعة سمعان هو الذى ألهم مهندسى البناء الدينى الأوربى وأثر فى فنهم خلال القرون المتوسطة وكان عاملا مهمًّا من عوامل نشوء النهضة الفنية فى أوربا الغربية .

قلب لوزه :

وهى كنيسة منعزلة فى باحة واسعة كأنها معبد وثنى قديم على ذروة جبل العلا (آخر القرن الخامس) تحيط بها واجهة لها برجان . رأسها مزين بالأعمدة وفيها ثلاثة أبهاء تفصل أوسطها عن الآخرين أقواس كبيرة . وتعتبر هذه الكنيسة آية فنية مزينة فى تناسق النسب واتساق الزخارف المنحوتة وتوزعها .

البارة :

كانت مركز جبل الزاوية فيها بقايا عدة كنائس ومدافن غنية تعلوها سقوف هرمية ويرجع تاريخها إلى القرن السادس الميلادى .

حوران :

(ذكر فى التوراة باسم باشان) .

وهو مؤلف من قسمين يدعى الشرقى منهما (جبل الدروز) والغربى (حوران) وكان يدعى قديماً أهراء روما نظراً لما تعطيه سهوله الخصبة من غلال . وتمتد فى القسم الشرقى منه جبال بازلتية وعرة شكلتها اندفاعات براكين خامدة وتخترقه عدة أودية تتجمع فيها مياه الأمطار والسيول المتحدرة من الجبال المحيطة فتسقى أراضيه وتملأ بركه .

تبده الزائر كثرة الآثار القديمة المنتشرة فى حوران وكونها جميعاً من حجر البازلت الأسود وليس من المبالغة فى شىء أن يقول أحد الكتاب الفرنسيين عن هذه المنطقة : إن كل خطوة على أرضها تكشف لك عن مفاجأة أثرية . وقد ترك الرومان بصفة خاصة صبغتهم على كل تلة وفى كل واد وسهل فيها .

بدأت نهضة حوران العمرانية لما أوجد الرومان الإقليم الغربى وتكاثرت الأبرشيات المسيحية فى حوران . وأكثر أبنية بصرى وصلخد يعود إلى القرنين الثانى عشر والثالث عشر الميلاديين .

آثار حوران :

السويداء : (عرفت باسم سوادا أو ديونيسياس) سكنها الأنباط العرب فى القديم وشيدوا فيها معبداً لتكريم إلههم دوسارس

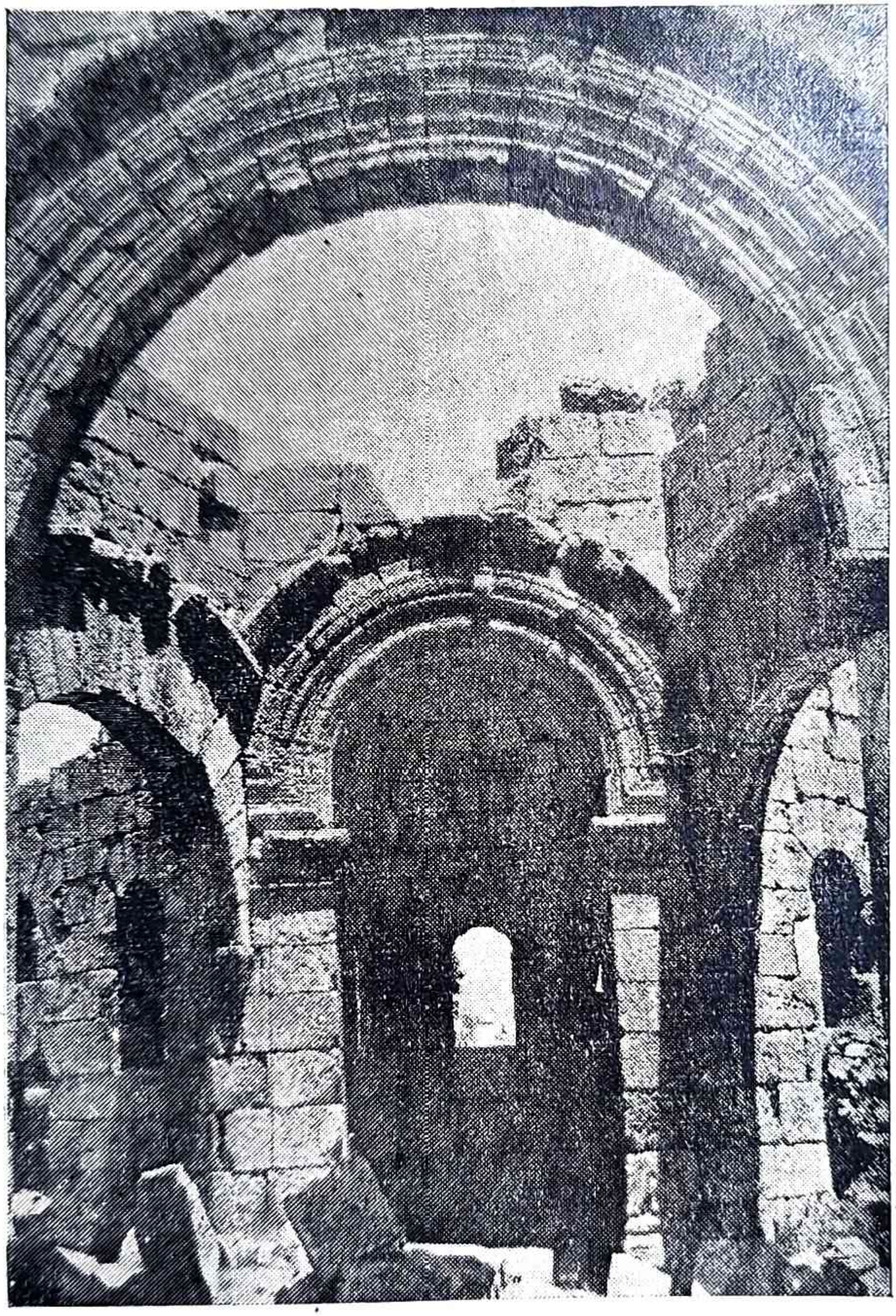
أو ديونيسوس . وتدل الآثار الباقية على تطبيق الزخارف الكلاسيكية على مبادئ التزيين الشرقية . وفى السويداء عدا المعبد كنيسة وكاتدرائية كبيرة من القرن الخامس وفى شمالى المدينة يقوم صهريج ضخم من زمن الرومان لا يزال يدعى بركة الروم .

القنوات :

لعلها ذكرت فى التوراة باسم قانات ثم أصبحت فى العهد الرومانى قاناتا إحدى المدن العشر (ديكابوليس) الشهيرة حينذاك ، كانت تابعة للملك هيرودوس وسلالته حقبة من الزمن ثم أصبحت جزءاً من الإقليم الغربى .

ترتفع على تلة إلى شمال القنوات آثار معبد محوط بالأعمدة أما البلدة نفسها ففيها بقايا سور وطريق مرصوفة كما أن فيها كنيسة وقصراً وإلى جنوبها يقوم الأكروبوليس والمعبد وقوس نصر أما البناء المعروف باسم السرايا فأصله كنيسة طولها ٢٥ م وفيها ١٨ عموداً وإلى جانبها دير وبناء من أصل رومانى .

وإلى الغرب من واديها ما تزال آثار قاعة استقبال بنيت فى عهد هادريان وصهريج تغذيه بالماء قناة مرتفعة وفى القنوات



قلعة سمعان

منظر داخلي لأقواس الكنيسة المدورة المزينة بالزخارف

خارج السور مسرح قطره ١٨ متراً ومعبد وبرج مربع يرجح أن بناءه يعود إلى ما قبل الرومان .

شهبا

وهى فيليبوبوليس القديمة . جدد بناءها على الطراز الرومانى الإمبراطور فيليب العربى (٢٣٢ – ٢٣٧) الذى ولد فيها .

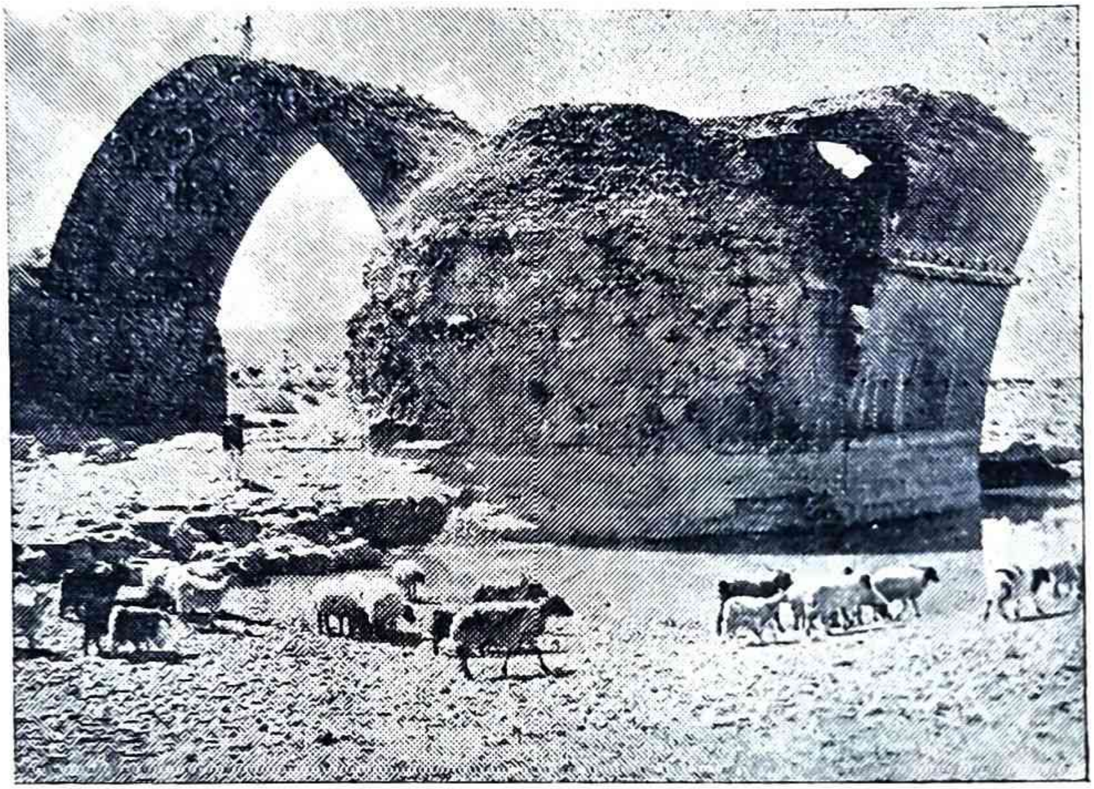
ما تزال ترى فيها أبواب المدينة القديمة وشارعان من الأعمدة وقناة مرتفعة تنتهى إلى حمام وقد نقل منها إلى متحفى السويداء ودمشق ألواح أرضية كبيرة من الفسيفساء .

صلخد

تبعد ٣١ كيلومتراً عن السويداء تمتاز بجبل بركانى بنيت على قمته قلعة كبيرة محاطة بالأسوار وقد وجدت فيها نقوش وكتابات إغريقية وعربية .

بصرى

تبعد ١٤١ كيلومتراً عن دمشق ، وهى اليوم بلدة متواضعة تابعة لمحافظة درعا ولكنها كانت ذات يوم عاصمة الإقليم العربى ومركزاً تجارياً خطيراً فى أوائل العهد المسيحى .



إحدى ركائز جسر عين ديوار

ظلت بصرى فى أيدى الأنباط حتى استلحقها تراجان سنة ١٠٥ م فأدخل عليها تحسينات كثيرة ودعاها « نوفاتراجانا بصرا» ثم أصبحت مستعمرة رومانية فى زمن ألكسندروس سيفيروس كما أصبحت مركز أبرشية إكليريكية هامة بعد انتشار المسيحية فشيدت فيها سنة ٥١٢ كاتدرائية فخمة ذات قبة ومخطط مدوّر (هى أولى الكنائس المقببة فى النصرانية) وكانت بصرى إلى ذلك ملتقى القوافل التجارية الآتية من الجزيرة العربية .

ولا تزال فيها بقايا دير كان يعتزل فيه الراهب بحيراء المشهور أما الكاتدرائية فعلى درجة كبيرة من التهدم .

وأول ما يراه زائر بصرى القادم من جهة دمشق باب الهوا (من القرن الثانى الميلادى) وتتجلى فيه روعة الفن الرومانى الأصيل ثم باب القنديل وهو قوس نصر من أوائل القرن الثالث الميلادى مؤلف من قوس رئيسى فى الوسط وقوسين جانبيين وعلوه ١٣ متراً . وفى بصرى صهريجان من العهد النبطى أو الرومانى أولهما البركة الشرقية وطولها ١١٤ متراً فى عرض ١١٢ متراً وثانيهما بركة الحج ويبلغ طولها ١٥٥ متراً وعرضها ١٢٢ متراً وسماكة جدرانها ثلاثة أمتار ونصف إلى أربعة أمتار ولعلها أكبر صهريج فى الشرق .

وتضم بصرى اليوم مسجد «مبرك الناقة » ومئذنته مربعة عالية من القرن الثانى عشر ومسجد فاطمة وجامع عمر كما تضم مسرحاً رومانياً (مطلع القرن الثانى الميلادى) وقد يكون أضخم وأجمل وأكمل المسارح الرومانية التى لا تزال قائمة .

ويبلغ قطر المسرح ٧٢ متراً وطول ملعبه أربعة وخمسين متراً فى عرض عشرة .

وفى بصرى قلعة عربية أكملت على مراحل وفى أوقات مختلفة تعد من أهم قلاع القرون الوسطى ومن أجمل آيات فن البناء العسكرى تحوى سوراً واثنى عشر برجاً مربعاً قائمة حول المسرح الذى هو لها بمثابة نواة .

وفى القلعة، عنابر مرتفعة فوق صحن المسرح على ثلاثة طوابق وقاعات معقودة السقوف وسراديب ويحيط بالقلعة خندق عميق .

مصايف الإقليم السورى

الغوطة :

قال فيها رينان: «كل من رأى الغوطة وبساتينها المثمرة، وحدائقها التى انفصل بعضها عن بعض بجداول المياه شعر فى نفسه بالسعادة والراحة . تصور طريقاً مظللا بالأشجار ممتداً فى أرض خصبة ترويها الترع بلا انقطاع وقد قامت على جانبى الطريق سفوح الجبال، وكيفما التفت رأيت أشجار الزيتون والجوز والمشمش والخوخ وقد ألّف بين هذه الأشجار وعانق بعضها ببعض عرائش العنب المتهدلة العناقيد والأغصان ، حقاً إن هذه البقاع الخصبة لم تعرف من أقدم أزمنة التاريخ إلا اسماً واحداً ولم توح إلا حلماً واحداً "جنة الله"» .

والغوطة تحيط بدمشق فى مساحة من الأرض الكثيفة الزراعة يبلغ طولها ٢٥ كيلو متراً فى عرض ١٢ تكتظ فيها الأشجار المثمرة من كل نوع وفيها بساتين وحقول يعيش عليها أكثر من عشرة آلاف نسمة . على أن الغوطة هى شىء أكثر من كل ذلك وقبل كل ذلك إنها جزء من دمشق وقطعة من

تاريخها ، إنها قديمة مثلها .

والغوطة يهيئها موقعها والتناقض الذى يقدمه مع الصحراء القريبة إلى الاعتقاد أنها هى المقصودة عند ما تذكر «جنة عدن». ألم يرو عن النبى محمد أنه توقف على أطراف الغوطة رافضاً ولوجها معتذراً بكونه لا يريد أن يستعجل على الأرض بعضاً من متع النعيم .

مصايف وادى العجم :

يمكن اعتبار أكثر قرى هذه الناحية من مصايف المستقبل بفضل مواقعها الجبلية الممتازة وهوائها الصحى وعيون مياهها الباردة العذبة وأشهرها قلعة جندل وعين الشعرة وعرنة ودربل .

عرنة :

وهى أشهر مصايف وادى العجم مبنية على سفح حرمون (جبل الشيخ) وقد دشن فيها مؤخراً مشروع الكهربا وعبّدت الطريق إليها من دمشق ورصفت ، تعلو عن سطح البحر ١٣٥٠ متراً وتبعد ٦٤ كيلومتراً عن دمشق .

يقال إن فيها ٣٦٠ عين ماء أقربها إلى البلدة عين سابا

وعين عيسى وماؤهما يكاد يكون مثلجاً لشدة برودته وقد قامت بعض المقاهى إلى جوار هذين الينبوعين .

وادى بردى :

تناثر على حنايا هذا الوادى مصايف صغيرة تكاد تكون متنزهات فحسب لكثرة الأشجار الخضراء التى تغطيها ولبرودة جوها ورطوبته . يمر فيها نهر بردى قبل أن يخترق دمشق فيكسبها جمالا يتغنى به الشعراء وتقصده الألوف من سكان دمشق وغيرها للترويح عن النفس وأشهر مصايف هذا الوادى دمر والهامة والربوة وفى كل منها عشرات المقـاهى التى تتكئ على ضفتى النهر وتسيل من مائه فيها أقنية لطيفة بين موائد الجالسين .

مصايف القلمون

النبك :

تبعد ٨٠ كيلومتراً عن دمشق وفى منتصف الطريق بينها وبين حمص تعلو عن سطح البحر ١٣٨٠ متراً تحدق بها البساتين

وتجرى فيها مياه « عين المخرج » الباردة العذبة .

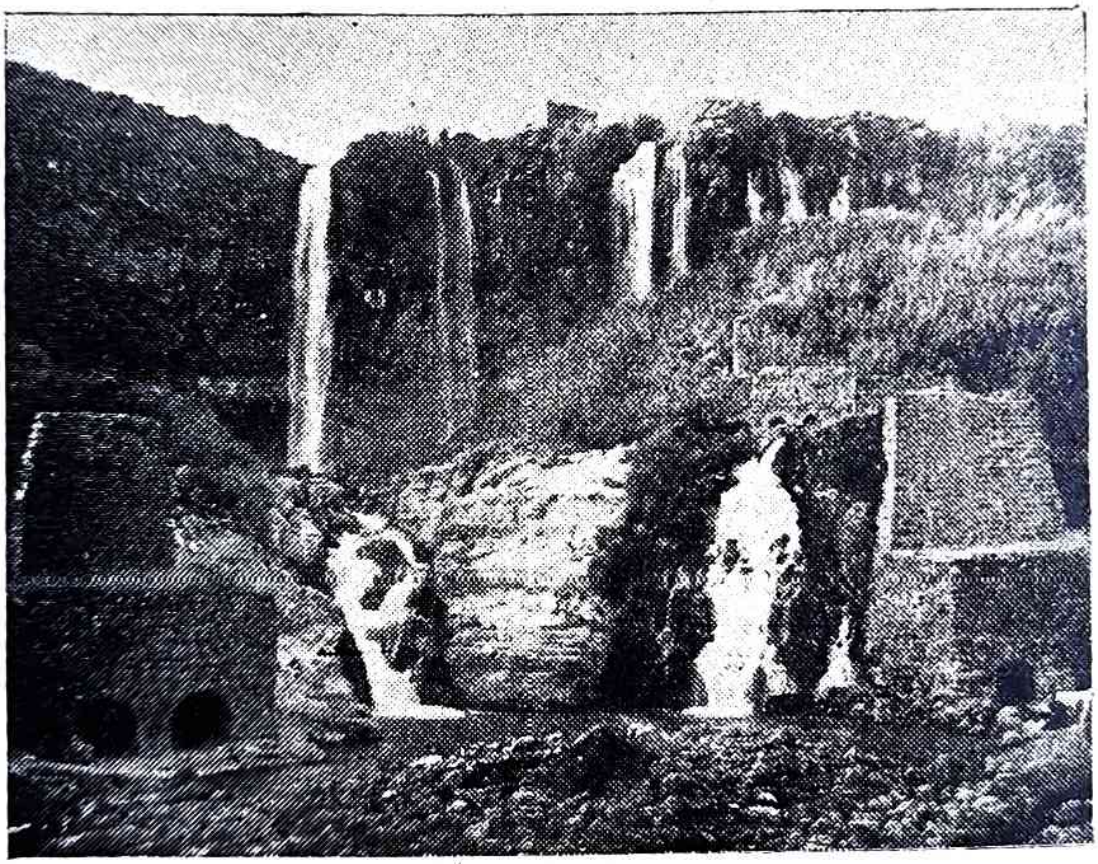
يبرود :

مصيف قديم قيل إن زنوبيا ملكة تدمر كانت تقضى فيه الصيف ، ارتفاعه عن سطح البحر ١٤٣٠ متراً

وبعده عن دمشق ٧٥ كيلومتراً وعن النبك ثمانية كيلو مترات. تتصل سهول يبرود القريبة بسفح جبال بعلبك وتمتد شمالها بساتين وارفة الظلال متنوعة الثمار . وقد أدرك سكانها قيمة بلدهم كمصيف فأعدوا فيها فنادق جيدة وعدداً كبيراً من دور الاصطياف النظيفة فأصبحت بذلك مقصداً للزائرين من الشمال والجنوب .

وتمتاز يبرود بمتنزهاتها الشعرية اللطيفة مثل « عين قرينة » وهى بحيرة صغيرة تجرى فيها قوارب للنزهة و « أسكفة » والوادى و « رأس العين » والعريض وجبل مار مارون وعين المعرة والمشكونية والجبل الأبيض وغيرها ، وفى يبرود مقاه نظيفة وبعض الآثار . وفى القلمون قرى كثيرة يمكن اعتبارها مصايف نظراً لمواقعها الطبيعية الجميلة وبساتينها وهوائها الصحى الخالى

من الرطوبة ، وأشهرها مصايف معلولا وصيدنايا ودير عطية وقارة والضمير .



المصايف فى سوريا

مصايف الزبدانى

الزبدانى :

مصيف هادئ على بعد ٤٧ كيلو متراً من دمشق وارتفاع ١١٧٥ متراً عن سطح البحر وهو كثير العيون مشهور بفواكهه اللذيذة كالأجاص (الكمثرى) والسفرجل والمشمش والعنب والدراق (الخوخ) والتفاح . وبساتين التفاح فى الزبدانى متعة للنظر إذ ترى الأشجار وقد انحنت أغصانها من ثقل ما تحمل من أنواع التفاح حتى تكاد تلامس الأرض لولا الدعائم التى تسند أغصانها . ويمتاز هذا المصيف بجودة المناخ وطيبة الهواء .

ومن أجمل ما يحيط بالزبدانى المناظر الطبيعية عند نبع وادى بردى وطريق ظليلة محاطة بأشجار الفاكهة من الجانبين فإذا وصلت إلى النبع نفسه رأيت المياه تخرج من بين الصخور تشق لها ممراً إلى الساقية فالنهر، ولكنها تتعرج قبل ذلك حول قطعة من الأرض أقيم عليها مقهى جميل .

بلودان :

ارتفاعها ١٥٠٠ متر عن سطح البحر وتبعد ٥٠ كيلومتراً عن دمشق وهى بحق مصيف سورية الأول لنقاء الهواء وجفافه فيها . وتطل بلودان على مناظر جميلة من كل مكان وخاصة على بساتين التفاح الشهيرة فى سهل الزبدانى .

فيها فندق كبير أنشأته الحكومة فوق هضبة تشرف على الوادى وعلى سفحها حوض واسع للسباحة وفى بلودان عدة فنادق ومقاصف وخاصة متنزه « أبو زاد » والشارع الذى يؤدى إلى هذا المقصف تكتنفه الأشجار ويحلو للمصطافين السير فيه فى الأمسيات المقمرة . وفى أبو زاد شلالات لطيفة تنسكب كخيوط اللآلئ إلى بحيرة فى المقهى .

العين الخضراء :

تبعد ٢١ كيلومتراً عن دمشق وهى مجموعة من المتنزهات الهادئة الظليلة أقيمت على جانبى بردى وماؤها بارد وهواؤها رطب .

بقين :

مصيف صغير جميل يعلو ١٣٥٠ متراً عن سطح البحر ويبعد عن الزبدانى خمسة كيلومترات على طريق دمشق ماؤه معدنى صاف فيه خواص صحية .

مضايا :

على مقربة من بقين ارتفاعها ١٣٥٠ متراً عن سطح البحر تشرف على نبع بردى وتمتاز بعيون « ميسة وأمين وهريرة » .

الجرجانية :

مصيف ممتاز يعلو عن سطح البحر ١٢٧٥ متراً ويقع على ربوة لطيفة . أنشئ فيه فندق فخم باسم « الجرجانية » .

مصيف الفيجة :

ارتفاعه ٨٦٠ متراً ويبعد ٢٦ كيلومتراً عن الزبدانى فى منبسط من الأرض تحدق به البساتين من كل جانب . وتنبع فى هذا المصيف عين الفيجة المشهورة و إلى جانبها عدد من المقاهى الوادعة ثم تسيل إلى دمشق فتسقى أهلها بالماء النقى العذب .

مصايف اللاذقية

صلنفة :

يقع هذا المصيف شرقى مدينة اللاذقية ويبعد عنها زهاء خمسين كيلومتراً ويصله بها طريق جيدة معبدة وهو يرتفع ١٢٠٠ متر عن سطح البحر .

تعتبر صلنفة من أجمل مصايف الإقليم الشمالى . فهى تطل على البحر من إحدى جهاتها وتعانقها الغابات الجميلة من كل مكان . وعلى مقربة منها متنزهات خلابة أشهرها باب جنة الذى يبعد ثلاثة كيلومترات عن المصيف ومتنزه جبل الشوح الذى يقع فى سفح جبل الشعرة وعلى بعد خمسة كيلو مترات من صلنفة. يسرح الطرف منها على مناظر جبال العلويين وعلى الطرقات الجبلية المشجرة المليئة بالفتنة .

وفى صلنفة تتوفر شتى الشروط التى تتطلبها مراكز الاصطياف الحديثة من ماء وكهربا وفنادق وفيلات وملاعب رياضية متنوعة غير أن مميزاتها الأولى فى مشاهدها الطبيعية الساحرة التى قل أن تتوفر لمصيف فى هذه البقعة من الشرق العربى.

كسب :

على بعد ٦٥ كيلومتراً شمالى مدينة اللاذقية ، وارتفاعها عن سطح البحر ٨٠٠ متر وتقع على سفح جبل الأقرع تتحلقها الجبال على شكل نصف دائرة وتحيط بها غابات عذراء ومناظر كأنها انتقلت فجأة من صميم أدغال الهند أو أحراج الأمازون ، أشجار ملتفة متشابكة تكاد لا تتميز زرقة السماء من خلالها وأودية سحيقة رهيبة يكسوها الصنوبر والأرز البرى .

أما الطريق إلى كسب المعروف باسم « طريق أنطاكية » فيتسلق قمم التلال الحادة ويتعرج على سفوحها تحف به الهوى العميقة والأشجار الوحشية من الجانبين فتأخذ النفس رهبة من كل الفتون الذى تقع عليه العين .

فإذا وصل المسافر إلى النقطة المعروفة بالكيلومتر ٤٥ أطل على البحر وعلى مشاهد أخاذة . وعلى هذا الطريق أيضاً تقع غابة الفرنلق الشهيرة .

دريكيش :

يقع هذا المصيف على سفح جبل مكسو بأشجار الزيتون

وتتدرج بيوته حوالى هذا السفح بشكل يبهج النظر وهو يعلو ٤٥٠ متراً عن سطح البحر ويبعد مسافة ١٣٥ كيلومتراً إلى جنوب شرق اللاذقية و ١٥ كيلومتراً من صافيتا .

وتطل دريكيش على البحر وعلى واد جميل تغطيه البساتين وتتراءى منه للمصطاف مناظر جبال لبنان المكسوة بالثلوج غير بعيد عنه متنزهات شهيرة بجمالها وبغابات السنديان فيها كقرية جنينة رسلان وغيرها وكذلك بعض الكهوف التى تتدفق منها المياه، وفى منطقة اللاذقية أماكن هى متعة للمصطاف لمناظرها الجميلة وهوائها المنعش مثل صافيتا والقدموس وغيرها .

وهناك مشاريع لخلق مراكز اصطياف فى بعض مناطق الغابات الجبلية ذات المناظر الرائعة والمناخ الطيب .

وفى منطقة اللاذقية مصايف كثيرة ذات مناخ طيب ومياه صحية كمصيف سلمى الذى يبعد ١٢ كيلومتراً عن صلنفة ويشرف على وادى « دورين » وكمصيف وادى العيون ذى الموقع الجميل.

مصايف حلب

جبل الأربعين :

فى قصبة أدلب يبعد ٧٠ كيلومتراً عن حلب ويعلو ٧٦٠متراً عن سطح البحر هواؤه نقى ، وتحيط به مواطن غاية فى الجمال ، أهم أشجار المنطقة الكرز ، تقع على مقربة من هذا المصيف قرى جميلة مثل بزه وعين التينة ونحلة وغيرها وفيها الخضرة والمياه الباردة العذبة والهواء العليل .

اشتبرق :

تبعد٣ كيلومتراً عن حلب مشهورة بمياهها العذبة المتدفقة من الجبال التى تطل عليها ، تمتد البساتين على طول مجرى هذه المياه من منابعها حتى مصبها فى نهر العاصى .

كفر جنة :

تقع فى منطقة جبل الأكراد الجميلة وفيها مياه عذبة وأشجار باسقة وأحراج كثيفة ، وفى محافظة حاب مناطق جبلية مرتفعة

ذات مناظر بديعة قد تصبح مراكز اضطياف مناسبة مثل : انكزلك ، بداما ، إسحاقية ، يعقوبية ، قينية ، الجانودية ، الشانورية ، خربة الجوز ، القدوسية . وهى تمتاز بمناخها النقى ومناظرها الجميلة .

أضف إليها مصايف كفر لاتا فى قضاء أدلب وكفر تخاريم فى حارم وتادلف وأبو طلطل فى قضاء الباب .

الحمامات والمياه المعدنية فى الإقليم السورى

(معلومات مستقاة من تقرير الدكتور أمين أحمد محسن مدير قسم المسائل الصحية ، والكيماوى مصطفى رائف وكيل قسم المياه فى الإقليم المصرى) .

تقسم الينابيع من حيث محتوياتها وخصائصها المتشابهة إلى ٣ مجموعات (١) الحمامات الغازية (٢) الحمامات الكبريتية (٣) المياه المعدنية .

١ ـ الحمامات الغازية :

حمامات أبو رياح :

تقع فى ناحية القريتين بمحافظة حمص إلى القرب من

الطريق الموصل إلى تدمر وهى عبارة عن عدة فوهات تنبعث منها أبخرة وغازات ساخنة من جوف الأرض وتقع الفوهة الرئيسية على ربوة عالية ترتفع حوالى ٧٥٠ متراً عن سطح البحر .

والمنطقة المحيطة بهذه الحمامات صحراوية غير مأهولة ويمكن الوصول إليها عن طريق النبك بمسافة ١٥٠ كيلومتراً تقطعها السيارة مجتازة عدة قرى صغيرة واقعة حول عيون طبيعية أو آبار رومانية قديمة .

وقد شيد فوق الفوهة الرئيسية مبنى صغير من غرفتين متداخلتين فى إحداهما الفوهة التى تتصاعد منها الأبخرة والغازات وليس فى هاتين الحجرتين سوى فتحة خارجية صغيرة فى سقف حجرة الحمام .

ويمكن التحكم فى كمية الغازات والأبخرة وكذلك فى درجة الحرارة بوضع حجر كبير على تلك الفوهة وكذا بفتح أو إغلاق الفتحة العلوية المذكورة .

وبالقرب من هذه الحمامات مبان أثرية قديمة هى عبارة عن بقايا قصور وسراديب وأسوار وخزانات مياه قديمة (١٠٠ × ١٠٠ متر) يرجع بناؤه إلى عهد الدولة التدمرية وكانت هذه

الحمامات تستعمل للاستشفاء وإلى جانب الفوهة الرئيسية توجد عدة فوهات أخرى صغيرة تتصاعد منها مثل هذه الأبخرة والغازات الساخنة .

ولهذه الحمامات شهرة شعبية لما يعتقد من فائدتها فى علاج الأمراض الروماتيزمية والجلدية وفى إزالة السمنة والعقم وفى إعادة الشباب .

ومثل هذه الحمامات نادرة فى العالم .

٢ ــ الحمامات الكبريتية :

(ا) حمامات الملكة زنوبيا :

تقع حمامات الملكة زنوبيا فى مدينة تدمر على ارتفاع حوالى ٤٠٠ متر عن سطح البحر والوصول إليها إما عن طريق النبك (طريق دمشق ــ حلب الرئيسى) ماراً بالقريتين (٣٠٠ كم) أو عن طريق حمص وهو أفضل من الأول .

وهذه الحمامات عبارة عن مغارة طويلة فى باطن الجبل طولها ستون متراً وعرضها حوالى ٤١ متراً وتستمد مياهها من خمس عيون رئيسية غزيرة المياه تروى أراضى النخيل والزيتون فى تدمر

وهذا العماد الأساسى لاقتصاديات البلدة .

ومدخل هذه الحمامات عبارة عن سلم مؤلف من درجات منحوتة فى الصخر ومياه هذه الحمامات ذات رائحة كبريتية خفيفة درجة حرارتها منخفضة نسبياً .

وقد كانت نتيجة تحليل العينة التى أخذت منها مقدرة كأجزاء فى المليون : ملليجرام فى اللتر كالآتى :

الأملاح الذائبة	٢١٨٠
كلورور الصوديوم	١٠٤٨
العسر الكلى	٧٤٨
العسر الدائم	٥٥٢
العسر المؤقت	١٩٦
الكبريتات	٤٧٢
السيليكا	١٨
المنجنيز	٧,٥٥

وهذه المياه تشبه مياه فيتل بفرنسا فهى غنية إلى حد ما بكبريتات وبيكربونات الكلسيوم والمغنسيوم وهى تفيد فى أمراض الكبد والكلية والمثانة وتعتبر مدرة للبول عند استعمالها فى الشرب ونظراً لاحتوائها على كبريتور الأيدروجين فهى تفيد فى

بعض حالات الأمراض الجلدية عند استعمالها فى الاستحمام .

(ب) حمام الشيخ عيسى :

يقع على طريق فرعى ممهد من الطريق الرئيسى بين اللاذقية وحلب على ٢٥ كيلومتراً شمال بلدة جسر الشغور فى منخفض بين جبلين على نهر العاصى ، والمناظر على جانبى الطريق بديعة جذابة ، ومناخ المنطقة حسن وخاصة فى فصل الصيف .

وتحيط بهذه الحمامات قرية صغيرة يقصدها طالبو الاستشفاء ويجرى نهر العاصى على بعد ٤٠ أو ٥٠ متراً من الحمامات ويصب فيه فائض مياهها ، وهى مؤلفة من قسمين كل منهما عبارة عن حوض طوله ستة أمتار فى عرض خمسة فى عمق متر ونصف المتر ويقع داخل قبو صغير ارتفاعه متران ونصف المتر عن سطح الماء .

وتزود الحمام بالماء عيون طبيعية فى أسفله وعلى جوانبه رائحتها كبريتية نفاذة .

وقد كانت نتيجة تحليل العينة المأخوذة من هذا الحمام (مقدرة كأجزاء فى المليون — أى ملليجرامات فى اللتر) كالآتى :

الأزوت النشادرى	٣,٠
الأملاح الذائبة	٩٥٤
كلورور الصوديوم	٢٦٠
العسر الكلى	٤٠٢
العسر الدائم	١٤٢
العسر المؤقت	٢٦٠
الكبريتات	٣١٧
السليكيا	٢٦
الحديد	٠,٠٥
درجة تركيز إيون الإيدروجين	٧,٤٠

ويستدل من هذه النتيجة ومن المشاهدات وما هو مشهور عنها ومتداول بين الأهلين على أن مياه حمامات الشيخ عيسى ذات فائدة علاجية حقيقية ، ولها فوائد فى تنقية الدورة الدموية بالجهاز التنفسى (الشعب والغدد الأنفية والقصبة الهوائية) ويوصى باستعمالها فى التهابات المسالك الهوائية والزكام ، كما أنها تفيد كثيراً فى حالات الروماتيزم خصوصاً المصحوب بأورام وتقلصات مفصلية . وكذلك فى النقرس واللمباجو والأمراض الجلدية مثل حب الشباب والجرب وبعض أنواع الأكزيما وأمراض النساء مثل التهاب عنق الرحم وعدم انتظام الطمس

والأمراض العصبية ولها تأثير غير مباشر فى علاج الاضطرابات المعدية (عسر الهضم) واحتقان الكبد وعرق النسا والالتهابات المفصلية وهى تفيد أيضاً فى أمراض الشيخوخة والضعف العام والربو وعلى ذلك تستخدم مياه الشيخ عيسى فى الاستحمام وعلى هيئة دواء يشرب وللغسيل الطبى كالدوش المهبلى أو غسيل كمادة أساسية للحقن الشرجية كما أنها تستعمل كغرغرة لأمراض الزور وتستعمل أبخرتها وغازاتها المتصاعدة للاستنشاق فى بعض الحالات المرضية الخاصة .

ومن محاسن الصدف وجود عين طبيعية بالقرب من هذه الحمامات مياهها صالحة للشرب .

(ج) حمامات الحمة :

تقع هذه الحمامات على نهر الشريعة فى أقصى الجنوب من الجهة الشرقية للإقليم السورى على حدود فلسطين وهى منخفضة عن سطح البحر حوالى ٧٠ متراً وتتكون من ثلاثة ينابيع : عين الريح وعين المقلى وعين البلسم . ومياهها جميعاً كبريتية وعلى درجة عالية من الحرارة إلا أن عين المقلى أكثرها سخونة واحتواء على نسبة من الكبريت .

وتستغل هذه العيون استغلالا عصريًّا فقد أقيمت حولها

أحواض للسباحة مسقوفة كل منها مقسم إلى أربعة أقسام متساوية اثنان منها للرجال واثنان منها للسيدات . ويكاد يكون الاستغلال موسمياً فى فصل الشتاء لاعتدال المناخ فى هذا الفصل وقد أقيمت هناك منشآت حديثة أهمها فندق كبير وعدة فيلات وهذه الفيلات تستمد مياهها من هذه العيون .

وتحيط بمنطقة العيون حدائق وطرق منظمة وجميلة ويعزى لهذه الحمامات نفس الفوائد العلاجية والطبية السالف الإشارة إليها عند الكلام على حمامات الشيخ عيسى .

وقد حللت عينات من مياه هذه العيون الثلاثة فكانت نتيجتها (مقدرة كأجزاء فى المليون أى ملليجرام فى اللتر كالآتى) :

	عين الريح	عين المقلى	عين البلسم
الأزوت النشادرى	٠,٢	٠,٣	٠,٤
الأملاح الذائبة	١١٠٠	١٤٣٠	١٢٨٠
كلورور الصوديوم	٣٤٠	٧٨٤	٥٢٠
العسر الكلى	٤٢٨	٤٧١	٤٨٠
العسر الدائم	١٠٠	٢١٠	١٩٠
العسر المؤقت	٣٢٨	٢٦٠	٢٩٠
الكبريتات	١٦٣	٢٢٤	٢١٠
السليكيا	١٩	٢٢	٣٠
المنجنيز	٧,٩	٧,٥	٧,٠

المياه المعدنية

(١) دريكيش :

تقع على مرتفع عال من الأرض فى منطقة جوها معتدل فى الصيف وتحيط بها المناظر الطبيعية الجميلة من كل جهة وهى تبعد ١٠ كيلومترات عن صافيتا و ٣٠ كيلومتراً عن ميناء طرطوس وفى قرية دريكيش نبعان أحدهما أعلى من الآخر ويبعد عنه ١٠ كيلومترات ويشتهر السفلى منهما بين العامة بمزاياه الطبية وخصوصاً فى علاج أمراض الجهاز البولى ولاسيما الحصى . وقد أخذت عينة من كل من النبعين فكانت نتيجة التحليل (مقدراً كأجزاء فى المليون أى ملليجرام فى اللتر) كالآتى :

	النبع السفلى	النبع العلوى
الآزوت النشادرى	١ و ٠	٠١ و
الآزوت الآزوتيتى	آثار	٠٠٠
الأملاح الذائبة	٤٢٨	٣٨٢
كلوريد الصوديوم	٥٦	٤٠
العسر الكلى	٣٠١	٢٢٣
العسر الدائم	١٠١	٦٣
العسر المؤقت	٢٠٠	١٦٠
الكبريتات	١٣٤	١٠٠
السيليكا	٢٨	٢٨

	النبع السفلى	النبع العلوى
درجة تركيز إيون الإيدروجين	٧,٥٥	٨,١
التوصيل الكهربى	—	٤٠٠

ومياه الينبوع السفلى مستساغة الطعم صافية إلى درجة كبيرة باردة ويمكن وضعها فى مجموعة واحدة من مجموعات المياه الكلسيومية والمغنيسيومية الكبريتاتية والبيكربوناتية ، وهى ذات فائدة فعلية كبيرة من جهة إدرار البول وفى علاج أمراض الكبد والكلية والمثانة ولا يستبعد وجود أملاح الليثوم بها كما أنه من المنظور احتواء النبع السفلى على نسبة عالية من ثانى أكسيد الكربون .

(ب) عين بقين :

مصيف صغير جميل يعلو ١٣٥٠ متراً عن سطح البحر ويبعد عن الزبدانى خمسة كيلو مترات وعن دمشق ٤٥ كيلومتراً وفيه عين ماؤها بارد صاف سائغ الطعم وقد اشتهرت بفوائدها العلاجية فى أمراض الكلية ولا سيما فى إنزال الحصى والعين غزيرة المياه يحيط بها مقهى مناظره جميلة .

وقد أخذت عينة من مياه بقين فكانت نتيجة تحليلها (مقدرة كأجزاء فى المليون أى مليجرام فى اللتر) كالآتى :

الآزوت النشادرى	١,٠
الأملاح الذائبة	٢٨٢
كلورور الصوديوم	٨

العسر الكلى	٢١٢
العسر الدائم	٦٤
العسر المؤقت	١٤٨
الكبريتات	٨٤
السيليكا	٧
الكلسيوم	٢٢
المغنسيوم	٣٥
درجة تركيز إيون الإيدروجين	٨٫١
التوصيل الكهربى	٣٠٠

ومن هـــذه النتيجة يمكن وضع التركيب الافتراضى لمحتويات هذه المياه من الأملاح كالآتى :

كبريتات المغنسيوم	٨٤	مليجرام لتر
بيكربونات المغنسيوم	٨٥	» »
بيكربونات الكلسيوم	٩٤	» »
كلوريد الصوديوم	٨	» »
سيليكات الصوديوم	١٤	» »
المجموع	٢٨٥	

وهذه المياه تقع ضمن مجموعة المياه الكلسيومية المغنسيومية والكبريتاتية والبيكربوناتية وهى ذات فائدة فى علاج أمراض الكلية والمثانة والمسالك البولية والكبد وهناك فكرة لتعبئة مياه عين بقين فى زجاجات وبيعها خارج نطاق مصدرها .

فهرست

تم طبع هذا الكتاب على مطابع
دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٠

الأسفار

يتوق الإنسان إلى مشاهدة مختلف البلاد وزيارة الأقطار النائية إلا أن ظروفاً شتى قد تحول بينه وبين تحقيق رغبته . ودار المعارف تتيح لكل قارئ عربى على صفحات مجموعة من الكتب متعة الرحلة ولذة الأسفار دون أن ينتقل إليها قدماً فن تلك الكتب :

- رسائل صينية
  الثمن ١٥ قرشاً
- سندباد إلى الغرب
  الثمن ٢٠ قرشاً
- ماذا فى السودان
  الثمن ٢٥ قرشاً
- من وحى الجنوب
  الثمن ٣٥ قرشاً
- المغرب الأقصى
  الثمن ٧٥ قرشاً
- حكايات الرحلات
  الثمن ١٥ قرشاً
- أمريكا الضاحكة
  الثمن ٢٥ قرشاً
- سحر لبنان
  الثمن ٣٠ قرشاً
- مجموعة الرحالة والمكتشفين
  ظهر منها ١٢ كتاباً ثمن الكتاب ١٣ قرشاً
- مجموعة حول الأرض
  ظهر منها . بيوت من الثلج . جزر المرجان ثمن الكتاب ١٣ قرشاً
- مجموعة شعوب العالم
  ظهر منها . اليابان . الصين . أندونيسيا ثمن الكتاب ١٥ قرشاً